ايار سنة ١٨٦٦

الشهر الخامس   السنة الاولي

رواية

حفظ الوداد

تاليف

المعلم يوسف الشلفون

عفي عنه

ان لم يكن حفظُ الوداد طبيعةً

لا خير في خلٍ يجيك تكلُّفا

BRITISH MUSEUM

طبعة اولي

طبعت في بيروت بالمطبعة العمومية

85

145-99.d.1. 16 94 Pt. 5

رواية

حفظ الوداد

الكتاب الخامس للمشراكة الشهرية في بيروت

ايار سنة ١٨٦٦

الشهر الخامس السنة الاولي

رواية
حفظ الوداد

تاليف

المعلم يوسف الشلفون

عفي عنه

ان لم يكن حفظُ الوداد طبيعةً

لا خير في خلٍ يجيك تكلُّفا

BRITISH MUSEUM

طبعة اولي

طبعت في بيروت بالمطبعة العمومية

الحمد لله تعالى

وبعد فيقول الفقير اليه جل شانه يوسف بن فارس الشلفون انني لما رايت الجمهور الاكبر من شبان بلادنا الاذكياء راغبين بمطالعة كتب الرومان اي القصص الادبية لاسيما في الفرنساوية لكثرة وجودها بها رايت ان اتحف ابناء الوطن اصحاب الذوق السليم بهذه الرواية العربية الجديدة سالكا بها مسلك ارباب هذا الفن باتخاذي لها موضوعا جليلا على حفظ الوداد وما يترتب عليه قاصدا بذلك جملة مقاصد جميلة يعلمها كل من انتبه اليها ولا يخفى ما بمطالعة هكذا قصص من الفوايد الجزيلة لانها تبين للقارى العوايد المكروهة فيبتعد عنها وينظر بها كل ما هو ممدوحا من المعاملات الحيدة فيرتشد اليها هذا ما عدا ما بها من اللذة والفكاهة لقاريها وليعلم جيدا بانني لم اكتبها على سبيل الاختراع نظير غيرها بل اخذتها عمن جرت وقايعها معه كما يظهر ذلك لمطالعها فيما ياتى وذلك بعد سبق النظر الى الاشخاص الذين ذكرهم لى وتاكيدها منهم

واني ارجو ممن يطلع عليها ان يعامل ذنبي بالمغفرة ويسبل ذيل ستره على غلطي بالمعذرة وبكل الوجوه الاغضاء عن الملام من شيم الكرام

* تنبيه *

اولاً نرجو غض النظر من الطاف حضرة المشتركين عن تماهلنا هكذا طويلا بتقديم كتب الشراكة وما ذلك الا لاسباب ضرورية طرت علينا لكننا نعدهم من الان فصاعداً باننا سنجتهد كثيراً في رضا خاطرهم ونخبرهم باننا كنا قبلاً ابتدينا بترجمة واشهار رواية امير جزيرة مونتوكريستو وبما ان هذه الرواية هي كبيرة جداً قد تركناها الان الى وقت اخر وبادرنا بتقديم هذه المولفة الجديدة لحضرتهم بناء على تحرير ورد لنا بخصوصها من احد اصدقاينا الاعزاء جناب الاجل الامجد الخواجا انطون حنا قُصَيرى قنصل دولة ايران البهية في مدينة دمياط وهو هذا

جناب الاخ الاكرم يوسف افندي الشلفون المحترم
مدير المطبعة العمومية

انه نظراً لعشقي الشديد ورغبتي الحارة في استماع المستغربات وبالحري في مطالعة القصص والروايات التهذيبية اللذيذة فكنت بكل سرور وانتعاش ملقياً سمعي وموجهاً كافة حواسي اليكم عندما كنتم تخبروني برواية صاحبكم الودادية التي توقعت له ذاتياً وكنتم حضرتكم ترغبون طبعها ونشرها ولكوني وجدتها بالحقيقة رواية ادبية منطوية على حفظ العلاقات الحبية وبعض ملاحظات مفيدة رجوتكم ان تجروا ذلك على نفقتي ان شئتم فالان اكرر عليكم بهذا عسى ان تلاوتها تطبع في قلوب الشبان والشابات اصحاب الذوق الصحيح احساسات حفظ الوداد المبني عليه كل نتيجة صالحة في كامل الاحوال لاسيما في حال الحيوة الزيجية مقدما لكم احترامات الجزيلة

افندم
انطون حنا
قصيري

انه في سنة ١٨٥٧ بينما كنت جالساً في احدى الرياض المزهرة مع جملة من الاصحاب اللطفا اذا بصديقٍ لي مقبلٍ علينا فلما رايته سررت جدًا بحضوره ونهضت فسلمت عليه سلام المشتاق لانى كنت لم ارَهُ من مدة طويلة ثم حيى اصحابي وجلس بجانبي فاخذت اساله عن احواله وسبب انقطاعه عني كل هذه المدة فتنهّد وقال الاجتماع مقدر واشار لي بلحظةٍ فهمت منها انه لا يريد ان يوضح لي عما عنده امام رفاقى فسكتُّ وبعد برهةٍ ارادوا الانصراف فاستسمحت منهم وبقيت مع صاحبي هذا فقال لي قد جرت لي ايها العزيز واقعة غرامية ذات امور غريبة جدًا اشغلتني زمناً طويلاً عن كافة اعمالى الخاصة فضلاً عن زيارة اصحابي فقلت له وهل لك ان تقصها عليَّ فقال نعم انا اريد ان اخبرك بها لعلك تستحسنها فتكتبها فقلت له عليَّ بها فانى مستعد لاستماعها منك بكل ابتهاج فاجابنى الى ذلك بعد ان حرصني على استقصائها منه بكل دقةٍ وعاهدني على ان لا اغير منها شيًا فتحولنا اثناننا على انفراد واخذ يحكي لي قايلاً

ـ لايخفاك ايها العزيز اننى لم اخرج من المدرسة الا بعد الثمانية عشرة سنة من عمرى وكانت اقامتى بها ستة سنوات وبعد

83

خروجي منها كنت امضي غالب اوقاتي في مطالعة كتب
العلوم ولا كنت اعلم شيأً من امور المداخلات بين العالم
سوى المسايرة الودادية مع اصدقاى والذهاب في بعض
الاحيان الي بيوت اقاربي لانني كنت لا اعرف ماذا
افعل غير ذلك في اوقات فراغي من المطالعة والاشغال فبينما
انا ذات يوم عند احد اقاربي جالساً في الجنينة بالقرب من
بركة ماء ما بين زهور جميلة مسروراً بخرير الماء ومفتكراً
بصنعة مدبر الطبيعة لان الوقت كان ربيعاً واذا بصبيةٍ
بديعة الجمال داخلةً وهي تتخطر بقامتها الهيفاء كانها غصن
بانٍ يميله النسيم وحيث لم اعرفها صرت انظرها كما
كنت انظر قبلاً اشجار الجنينة اماهى فلما راتني اخذت تسارقني
بنظرها وبعد برهة تقدمت لجهتي وصارت تتمشى طولاً وعرضاً
امامي غير رافعة نظرها مني وكلما التفت اليها اراها تتبسم
بوجهي فافتكرت بانها ربما تعرفني وانا لم اعرفها فارادت
عمل هذه الملاطفة على سبيل المزح لكي تتسلى قليلاً لكنني
رجعت وقلت بنفسي وهل يصح ان تفعل هكذا قبل ان
تعرّفني بذاتها فمن عساها تكون هذه الابنة الجميلة ثم بعد

قليل رايتها تقدمت الى نسرينة ٍواخذت تقطف من ازهارها المتشابهة وجناتها وصنعت ضمة لطيفة وتقدمت نحوى بتيه ٍ ودلال وقالت

ـ هل تقبل منى ياخواجا هذه التقدمة بدون ان تلاحظ علىّ حال كوننا بهذا البستان الجميل

فانذهلت من اطافتها وقلت

ـ اشكر معروفك ياسيدتي ولكن......

ـ ولكن ماذا

ـ لاشي سوي انني انذهلت من معاملتك اياى بهذه المجابره على غير معرفة

ـ ارجوك ياخواجا ان تفيدني كيف تكون المعرفة وماهي وسايط بدايتها بين الاشخاص . فاحسست حينيذ ٍ بانتصارها على وقلت

ـ سامحيني ايتها الجميلة واقبلي مني تشكراتي القلبية عن افضالك هذه وانما .....

ـ وانما ماذا

ـ لم تتممي جميلك بتعريفك اياى عن اسمك الشريف

ـ قد دعوتني به ياخواجا فلماذا اذن سوالك وهل يكون للانسان اسمان

ـ لا وانما اتباعاً لما قيل ذكركم يحلو اذا كررته

فضحكت ومالت تيهاً ورشقتني بنظرة من اعينها النجلاء تاثر منها قلبي الخلي وقلت بنفسي لاباس سيظهر ذلك فيما بعد ثم طلبت منها الاصغاء وقلت لها

ـ اراك كلية اللطف والرقة فلا اريد ان ادعوك قاسية

فنظرت اليَّ شذراً ورمتني بوردةٍ حمراء كانت باقية بيدها اليسري فظننت انها علامة غضب فقلت

ـ ولماذا تفعلين معي هكذا ياسيدة

ـ وماذا يمكنك ان تصنع اذا كنت اريد ذلك

ـ لا شي سوي اني استغرب منك هذا الاستهزا

ـ وماذا يضرني اذا استغربته

ـ ابداً غير انك ستفتكرين به فيما بعد وربما تندمين

ـ وهل تظنني ياخواجا عديمة العقل بهذا المقدار حتى افعل شياً تكون عاقبته الندامة

ـ اذن على اي حالة تفعلينه

ـ على حالة كوني .. لا يخفاك ..... وتبسمت بخجل شديد فعلا وجهها الابيض احمرار زايد فقلت لها

ـ لاتخفاني ماذا ايتها السيدة انني لا اعلم شيا قبل الان

فنظرت الىّ وهي تتبسم وقالت

ـ انا لم اقل لك قبل بل الان فهل لم تعلم الى هذه الساعة

ـ اوكدلك انني لم اعلم شياً قط

ـ وهل تريد ان اعلمك وان كنت لست بملتزمة

ـ بكل سرور واقبل ذلك ان اكرمتِ

ـ اعلم انني من اول نظرة اليك قد ...... مال قلبي نحوك بالرغم عني حتي كانني من اعوام عديدة استمع مدايح اوصافك الحسنة وبالاختصار انني احببتك كثيرًا

ـ انني احسب ذاتي سعيدًا نظرًا لتنازلك لي هكذا لكنني اري ذاتي لست اهلاً لذلك

وعندما سمعت عبارتي هذه الاخيرة تبسمت وانثنت طرباً كانها فازت بمطلوب لها اما انا فاوكد لك ياصاحبي بان كافة مخاطبتي هذه معها كانت على نوع بسيط كما لو انني كنت احادث امراةً جاوزت سن الثمانين ثم ذهبت وهي تلتفت

لنحوى حتى غابت عن نظرى فبقيت انا في مكانى غير مفتكر بشي مما جري لى معها بل رجعت الى افكاري ونظرى في تلك المياه والزهور وكانت انبوبة البركة قد افرغت كل ما بها فنهضت وملاتها ثم عدت الى مكاني وبقيت مقدار ساعة بعد ذهابها كما كنت قبل حضورها وبعد ذلك رجعت الى منزلى حسب عادتي

ولما كان اليوم الثاني وانا جالس صباحاً في محلى دخل على رجل وهو يحدق بنظره الي وبعد ان حيى بالصباح سالنى قايلاً

- جنابك الخواجا حبيب

- نعم انا هو فقال لي

- ان سيدتي التى تحدثت معها نهار الامس في الجنينة مرسلتني اليك لكى اعزمك من قبلها للسهرة هذه الليلة في المحل الفلاني (وعين لى اسم المحل) وانا لا اريد ان اخبرك بهِ الان لانه صدر مني يمين على ذلك

ثم قال الرجل وقالت لي لكى اخبرك بانها تنتظرك هناك بدون شك فقلت له

ـ ولماذا هذه العزيمة ان كنت تعلم اسبابها وكيف لم تكن في بيت ابيها

ـ لا اعلم سوى انها قالت لى ما اخبرتك به وامرتنى ان اودعه مسامعك الشريفة ثم استاذن مني وعاد راجعاً

وبعد ذهابه اخذت افتكر بهذا الامر وما عساه يكن قصدها بهذه العزيمة السريعة عقيب مصادفتي معها المرة الاولي وقلت في نفسي لا بد ان يكون لها مقصد خصوصي بذلك فيجب ان اذهب واطلع على حقيقته لكنني افتكرت اخيرًا بانه ربما تكون عزيمتها لى في هذه الليلة موضوعها محادثات غرامية كما كان منها بالامس وقت اجتماعنا ثم قلت كيفما كان الحال فانني اذهب واري ما يكون وصممت نيتي على ذلك

ولما صار وقت المسا توجهت الى المحل المعين وباثناء المسير كنت احس بخفقان قلب باطني لم يكن يعهد فيَّ قبلاً وكنت كلما افتكر بها اشعر بانتعاش مفرح ولم ازل على مثل هذا حتى وصلت الى البيت ولما دخلته وجدت به تلك الجميلة مع جمهور عظيم من النساء والرجال وحالما رايتها تبسمت فلاقتنى هي حالاً الي الباب واخذت يدي كابسة عليها وقالت

ـ انه لم يكن عندى امل بحضورك نظرا لما عاينت بالامس من نفورك لكننى عندما رايتك الان تاكدت بانه داخلك آثار بعض ما عندي من عظايم المحبة

وكانت حال كلامها هذا تتدلل بغنجٍ يسلب العقول فقلت لها

ـ ليس فقط اثار ما عندكِ بل ارى عندى اضعافه

ـ هل تتكلم بصدق ياخواجا ام مناسبة لكلامى

ـ قسمًا بطلعتك ايتها الجميلة ان كلامى معك بكل صدقٍ

ـ قد تاكدت ذلك

ـ اذن اخبريني ما سبب هذه العزيمة الى هنا وليس هو محلك

ـ ان السبب الوحيد هو الحصول على مشاهدتك بهذه الفرصة

ـ ومن عساه يكون صاحب هذا البيت ومن هم هولاء القوم الموجودون هنا وما سبب اجتماع هذا الجم الغفير ان لم يسبب لك ثقلة سوالى هذا

ـ اعلم ان صاحب هذا المحل هو من المخصوصين بوالدى وبما انه مزمع ان يتكلل في هذه الليلة فقد دعانا للحضور الى عرسه

فوالدى لم يمكنهما ذلك نظراً لبعض اشغال طرت عليهما في هذا النهار فسمحا لي بالحضور وحدى لانهما نظراني متغيرة المزاج نوعاً وذلك لداعى ما اعتراني من القلق في الليلة البارحة التي بت بها بمقلة لم ترقد ارعي قمر السما عوضاً عن قمري..... ذلك انني بعدما فارقتك ورجعت الى البيت دخلت حجرتي وانطرحت هناك على فراشي وسلمت ذاتي الي هواجس الافكار وصرت اردد بضميري ما جرى بيننا من المحادثات اللذيذة الى الصباح حيثما اتيت الى هنا وحينئذٍ ارسلت اليك بخادمى استدعيك الىّ لكي نقضى هذا الانشراح سوية وازيل برويتك تكديرى هذا هو مختصر اسباب العزيمة

وعند انتها كلامها حضر الينا صاحب المنزل وسلم علىّ فقدمت لـه التهاني فمسك يدي وادخلني مظهراً سروره بحضورى اكراماً لها ٠ وكنت باثناء محادثتها معى رايت غالب الموجودين يراقبوننا بانظارهم كما هي العادة عند بعض شبان بلادنا الذين عندما ينظرون احداً يتكلم مع امراة اوابنة ياخذون بعبارات التاويل والارتفاعات ويبنون لذلك شواهق من الاخبار والامور التي لاطايل تحتها ثم بعد برهة سمعنا

الالات الموسيقية تصدح بالحانها في قاعة اخرى فنهضنا وذهبنا اليها فراينا جملة من الشبان يرقصون على نغم الالات والواحد منهم يهوس الاخر والثاني يترنم وهذا داير باقداح الراح على الجلاس وذلك يروي احاديث مضحكةً وكلهم بلغوا اوج الهنا والافراح فجلست فيما بينهم وقد انشرح صدرى جداً وهى ذهبت الي بين النساء وجلست بمقابلة منى واخذت تراسلني بسهام عيونها الفتاكة وقد تسلطنت فيما بيننا دولة التاشير وكانت كل برهة تظهر لى ما يزيدني بها شغفاً حتى بنت لها ضمن قلبي حصناً قوياً من العشق والغرام فاحقق لك ايها العزيز بانها تملكتني بحبها وصرت ارى ذاتي رقيقاً لجمالها مع كوني كنت لا اعرف ما هو الغرام قبل ذلك فخذ ارتفاعاً عن قلبٍ كان خلياً وقد استاسر بقيود المحبة

ولم نزل بين اشارات لحظية وعلامات معنوية والجماعة يتبادلون الرقص والطرب حتى انتهي الدور الىَّ فاتاني شاب متجمل باللطافة واخذ يدي قايلاً

— الا تسمح ياسيدي ان تكمل حظنا بمجاراتك ايانا بالرقص قليلاً

فتمنعت اولاً قليلاً بدعواى انني لم اتقن هذا الفن فالحّ عليَّ
بالطلب ورايتها بلطافةٍ قد اومت اليَّ براسها ان اقتبل
دعوته هذه فقلت له

ـــ انني ولين كانت معرفتي قليلة بامر الرقص فاكراماً
لخاطرك الغالى وقياماً بالواجبات التى لصاحب العرس اجيبك
لطلبتك هذه ونهضت معه واخذت ارقص بكل اعتناءٍ حتي
اندهش الجميع من حركاتي واثنوا عليَّ بالمديح التام ولا يُخفاك
ايها العزيز تولعي الغريب بامر العلوم صيرني ان اجتهد كثيراً
في كافة الفنون وكان الرقص من جملة ما تعاطيته بعد خروجي
من المدرسة بمدة يسيرة مع علم الموسيقة واصول الالحان فانسر
الجميع مني جداً واحاط بي زمرة منهم كانوا لم يحسنوا الرقص
حين دورهم واخذوا يحدثونني بامور طفيفة لا تستوجب الايراد مع
انى كنت احتسبهم في اول الامر من اصحاب المعارف والعقول
الذكية كما يبان لمن ينظرهم ثم قال احدهم اتدرى لماذا لم ارقص
جيداً فقلت له كلا فقال ياخى انني اكره الرقص كثيراً ولذلك
لا اعتني بهِ وقال اخر وانا لم ارقص كما يجب لانني على غير ما
احب هذه الليلة لداعى امر جري لى في النهار فكدرني ولم ازل

متكدرًا وقال الثالث انه لا يوجد بين هذا الجمهور من يميز بين مليح الرقص وعاطله لذلك لم ابين تلك الرقصات البديعة المشهورة لي واخذ كل منهم يعتذر عذرًا باردًا مثل هذا فلاحظت من ذلك ان جميعهم عديمي المعرفة في هذا الفن فارادوا ان ينفوا عنهم هذه المظنة من نحوى كما هو داب بعض شبان هذا الوقت الذين يدعون بعلوم ومعارف وفنون تعجز عن احصائها الفلاسفة العظام حتى اذا امتحنت احدهم بامر ما تراه يتحايل بقوله ان هذا الفن لم اتقنه جيدًا لكونه لا يتضمن كبير فايدة او لذة او يقول انه ربما لا يوجد غيري من يعرف هذه المسئلة مثلاً لكنني لا اريد ان اخبرك بها لسبب انشغال فكري الان مع انك تراه لخلو فكره من الاشغال يحسب عدد خشبات السقف عدة دفعات او اذا راى شيأً ولو مهما كان يقول لك بلهفة انظر كم هو جميل هذا الشي مظهرًا بذلك انه من العارفين الذين يميزون الاشياء كما هي ويكون ذاك الشي بعكس ما وصفه ومنهم من يتحايل اذا عجز عن الجواب او لم يفهم سوالك ولم يرد ان يستفيده منك ليلا تظنه جاهلاً بقوله دعنا من هذا الحديث ليس وقته الان ويلهي ذاته بعمل سيكارة او بامعان

النظر في كيفية تركيب شيء ما او يبسط لك سيرة جرت معه
او مع غيره بالفاظ ركيكة نصفها اعجمية او خارجية كالتي
يدعونها البعض لازمات الحديث نظير كقولك وبناء عليه
والحالة هذه وفهمت افندم ومعلوم جنابك وبقا وكيفك وهلم
جراً ما عدا حركات راسه واشارات يديه التي يعبر بها بعض
الاحيان عن جمل وعبارات واخيرا يقول لك اني اخبرتك هذه
القصة بكل اختصار لانه ليس لى جلد على كثرة الكلام ثم يتكى
على ظهره او جنبه او ياخذ الكرسى عاكساً جلسته عليها جاعلا
مسند ظهره لصدره مفرشخا رجليه ومظهرا الحدة والتعب وتكون
انت قد ضجرت من استماعه وتمنيت الف مرة خلوص السيرة
وعلى هذا الحال ترى غالبهم مع انهم لو اقروا من اول
وهلة بجهلهم لكانوا وفروا على انفسهم تاسفهم الباطنى وامنوا من
ضجر واشمئزاز جليسهم وبعد ان انتهينا من هذه الاحاديث
وخلافها وعين حبيبتى التي كانت واقفة على انفراد شاخصة فيَّ
نهضت الى امامها وقلت لها

— عسي يكون رقصي قد اعجبك ايتها السيدة

— كيف لا وقد ادهشت العقول بلطف ميلانك وسلبت

الالباب بحسن حركاتك

ــ ليس الامر كما تقولين انما اشتهي ان انظر الميلات الظريفة منك

ــ بكل طيبة خاطر ولكن امهلني لبينما يكون ابتدا دور النساء

ــ مناسب لكن لا يجب ان تفعلي كما فعل هولاء الشباب وتعتذرى كاعتذارهم واخبرتها بما حدثونى به فتبسمت وقالت سنرى ذلك في وقته

ثم بعد قليل نهضت احدي النساء اللطيفات وكانت على ما اظن من اقارب اصحاب المنزل وتقدمت الى الوسط واخذت ترقص رقصاً لاباس منه وهذه عادة اي رقص النساء بحضرة الرجال لاباس منها قد جرت الان في بلادنا اقتبسوها من الافرنج يدعون بانها من باب التمدن الاهلى كما يعدون ايضاً من هذا القبيل محادثات الرجال مع بعضهم بسير النساء وما يجرى لهم معهن من امور المحبة والغرام الي غير ذلك وبعد ان رقصت مقدار ربع ساعة من الزمان عزمت الثانية وجلست مكانها وهكذا اخذت كل منهن ترقص قليلاً وتنهض خلافها حتى انتهى الدور الي محبوبتي الجميلة فنهضت وقد احمر وجهها

حياءً بعد ان رشقتني سهمًا بعيونها اصميت به فوادي واما لت في ذالك المكان غصن قوامها المياس يعلوه بدر وجهها الوضاح الذي يخجل الكواكب نورًا واخذت ترقص رقصاً بديعاً يستحق ان ترقص له الجمادات طرباً فضلاً عن الحضار حتى غيبت افكار الجميع برقتها وكنت انا ممن يجب ان يسطو عليه هذا التاثير باكثر من كافة الجمهور فغبت عن الصواب وضاع مني الرشاد فاتكيت على جانبي وغرقت في بحر الهيام وساح فكري في فيافي الاحلام لا اعي على شي ابدًا حتى انتبهت على صوتها الرخيم تنشد غنية من الزلاغيط النسائية حسب عادة الوطن الغير المستحسنة ذات معاني مقصودة وحينيذٍ رايت الشموع موقودة والناس مزمعين على الذهاب لاستحضار العروس فهممت للذهاب معهم فقالت لي امام نساء المنزل انت على ما يبان لي انك نعسان او على غير راحة بصحتك فابقَ هنا بلا تعبك لبينما تحضر العروس فقالت احدى النساء ايضًا قد قالت جميلة بالصواب فبقايك هنا اوفق ومع ذلك فسيبقى هنا بعض رجال وجملة نساء فهنا اندهشت انا يا صاحبي عندما قالت هذه الامراة قد قالت جميلة بالصواب وحينيذٍ فهمت

انها تدعى جميلة لانني قبلاً ما امكنني معرفة اسمها وكنت استحي
ان استفهم عنه وللحال تفكرت بقولها لي كيف وقد دعوتني به ولم
افهم بذلك الوقت معناها لانني قلت لها ايتها الجميلة نعتاً
لوصف حسنها الحقيقي فكانها افتكرت انني دعوتها باسمها وعن
اسمي فانني اوكد لك انها لم تسالني عنه وكيف علمت به لا اعرف
ـ لا عجب ايها الاخ اذا كانت خدمتها الصدفة كما حصلت
معك باسمها ثم عرفته فيما بعد
ـ ربما الامر كذلك ثم بعد انصراف الجمهور كما تقدم
تفرق الموجودون بالدار الى استحضارات عديدة لوصول
العروس ومن معها من اهاليها حسب العادة وجميلتي دخلت
الى احد المخادع واشارت لي باتباعها فدخلت معها وكان
بذلك المخدع عجوزتان احداهما نايمة والثانية ثقيلة السمع كما
تحقق لي ذلك فيما بعد فجلسنا واخذت احدثها بما جرى لي وابث
لها لوعة غرامي التي لم تكن تخطر على قلبي قبل معرفتي بها وبقينا
برهةً في حديث اشهى من العسل بين عتاب وخوف افتراق
وهزليات فيما يخص الزيجة ونوادر غرامية ثم قمنا الى قاعة
الجلوس وما زلنا هناك حتى اقبل الجمهور ومعهم العروس

فنهض الموجودون لاستقبالهم وادخلوهم بكل احتفال الى البيت وبعد ان استراحوا قليلاً جرت مراسيم الاكليل وغب انتهاء ذلك وضعت سفرة الطعام وجلس الجميع للاكل وجلسنا انا وهي بالقرب من بعضنا وبما ان كلاً منا ذو شغف فلم نلتذ بالاكل ثم نهضنا عن الطاولة فنظرنا البعض صعدوا على السطوح يتخطرون لاستنشاق النسيم فتبعناهم وما ثلنا تخطرهم ودار بيننا الحديث فقالت لي

ــ هذه فرصة نغتنم فيها المكالمة لانه ظهر لي من بعض احاديثك انك تحب العزوبية اكثر من الزيجة فهل هو هكذا

ــ نعم ايها السيدة فلماذا هذا السوال

فتبسمت وقالت

ــ لا لشي اخر سوي انه سوال مفاكهة ولكن هل لا تفتكر بالزواج

ــ لا

ــ ولماذا

ــ لانني غير مضطر اليه ومع هذا فهل ان امر الزيجة فرض يجب تتميمه من كل انسان لانني اري كثيرين من اصدقاي

ومعارفي نساءً ورجالاً يحثونني دايمًا على ذلك وعلى ما رايت ان العيشة العذوبية اكثر راحة واخف اثقالاً من الزيجية ولاسيما اذا كان الانسان في غنى عنها ولم يفوته الوقت لانه ما الحاجة الى ان الانسان يقيد ذاته برباط الزيجة في اول عمره ويبتعد عن المداخلات في جمعيات الاصحاب والانبساط معهم ولا يخفى ان غالب المتزوجين تقل عندهم الهمة بالاجتهاد فيما يقدمهم ايضاً ان كان في العلوم او في خلافها من كسب المال وفعل المعروف مع الغير لانه حينيذ يصير همه الوحيد في تدبير بيته مكتفياً بالحالة التي هو عليها ولست اعني بالاجتهاد عن اوليك الجهال الذين تكون لهم الزيجة كزنجير يمنعهم عن الازدياد في الفساد والقبايح بل اوليك الشبان اصحاب العقول الراجحة المجتهدين في فعل كلما يعود خيره لصالح العموم

— لا اسلم معك بهذا ياخواجا لان الرجل العاقل والمجتهد في هكذا امور لا يفتر عنها عزباً كان او متزوجاً

— لكن لابد ياسيدة من ظهور فرق بهمتهِ نظراً لانشغال باله في احواله الجديدة وان شيت ان ابرهن لك ذلك بصراحة فاسمحي لي بجرية الكلام قليلا رافعة الملاحظات عليه

ـ انني ارغب ذلك جدا واظن ان الحب رفع من بيننا التكليف والتصنع مع بعضنا

ـ اذن يجب ان تعلمي اولا ان العالم بوجه الاجمال يجتهدون دايماً باكتساب الشهرة الحميدة فوق كل شي واللذة في ذلك للانسان هى ان يستمع من الناس التحدث بافعاله الحسنة والثناء عليها ليكون مكرماً ويتوصل الي نوال مطلوبه وبما انه يميل طبعاً الي النساء يرغب ان تكون له هذه الشهرة عندهن بزيادة ولكونهن يحببن فى الرجال على الخصوص ثلاثة اشياء وهى الشجاعة والشرف والغني لما فيها من نوال الغايات ولا يخفي ما لاصحابها من الاقتدار على افادة الغير ترى الانسان يجتهد دايماً باكتساب الشهرة باحدى هذه الثلاثة اشياء لينال مطلوبه ويحصل على ميل النساء اليه ويكون بالضرورة قد افاد الناس لانه لايشتهر ما لم تظهر منه امور مفيدة واما متى تزوج فحينيذٍ يخفف عنه الكد والتعب لنوال الشهرة فتتوقف عملية الافعال المفيدة منه نحو غيره وهذا على الغالب يكون من العقلا فضلاً عن الجهال فهل اقنعك هذا الكلام ايتها السيدة

بالحقيقة انه بغاية الصواب ياخواجا

وبعد جملة محادثات على هذا الموضوع وخلافه نزلنا وكان قد اخذ القوم بالذهاب كلٌّ الى محله بعد ان قدموا رسومات التبريك للعريس والعروسة فقلت لها

- هل لا ترغبين الذهاب ايتها السيدة

- ولعلك ترغب ذلك جنابك

- نعم لانه لم يبقَ داعٍ لجلوسي هنا

- اذن يجب ان نعين وقتاً لنلتقي به مرةً ثانية

- انني اشتهي ان اراكِ دائماً لكن فلننتظر ما تاتي به الفرص

- اه كم يصعب عليَّ هذا الفراق ياخواجا فعلينا بالصبر الجميل

ثم وضعتُ يدي بيدها مودعاً لها وعدت راجعاً الى منزلي

فاسمع ماذا جرى بعد ذلك ايها العزيز لترى كيف ان سلطان الهوى يسطو على قلوب العشاق ثم يكويها بنيران الاشواق غير مشفقٍ عليها وكم هو واجب الاحتراس منه والنفور من الخضوع له لانه ربما ان الانسان بمجرد نظرة واحدة منه الى ذات حسنٍ يعلق قلبه بها ثم لا يعود يراها بعد ذلك ويبقى معذباً فقد قيل كم نظرة اورثت الف حسرة فان هذه اللطيفة التي اشعلت في قلبي نار الغرام وتركتني اتعذب بها على

الدوام ارسلت لى تحريراً في اليوم الثالث من فرقتنا تخبرني به
انه حضر الى ابيها رجل من اصحاب الشهرة فى الغني وطلبها منه
عروسة له وانها تمنعت كثيراً عن قبوله وكان ذلك بدون
فايدة لكون ابوها الزمها للقبول بالرغم عنها وارادوا ان يجروا
رسوم الخطبة فطلبت مهلة ثمانية ايام لذلك بادعائها انها منحرفة
الصحة ثم تقول لى اخيراً واذ كانت محبتي لك لا تزال على ازدياد
رايت ان اعرفك بواقعة الحال حتى اذا كان يمكنك تدبير
حيلة للخلاص من هذا الامر ان كان بالهروبة او بخلافها اسرع
حالاً فانني مستعدة لتتميم ما تامرني به

وبعد ما انتهيت من قراة هذا التحرير الذى اشغل افكارى
برهة راجعت نفسى قايلاً ماذا يعنيني من هذه الامور واحتمال
هذه المشقات والهموم وانا الى الان خالى البال من محاربات الهوى
واي التزام عليّ بهذه الابنة والى هذا الوقت لا اعرفها حق المعرفة
نعم انني اقر لها بما حوته من الالطاف البديعة وماذا يهمني ان
تزوجت ام لم تتزوج اذ ليست الا كغيرها من النساء اللواتي
اجتمعت بهن قبلها وانسريت من محادثتهن لكنني بعد قليل
من هذه الافكار طرقت ابواب قلبي لواعج الغرام كانها تنبهني

73

من غفلة طويلة فاشعرت باحساسات غير اعتيادية جددت
في فوادى حباً مضاعفاً نحو تلك الجميلة وقلت في نفسي
اليس اني احبها وتحبني كثيرًا وافكاري دايمًا مشغولة بتذكارها
فبكل التزام تجب عليَّ اجابة دعواها اذ لابد لي من مراعاة
احكام الهوى ولا تسعني مخالفتها حال كوني مقيدًا بحبها ولا
يخفى ياعزيزي ان الانسان اذا تعلق قلبه بمحبة شخص لا يعود
في طاقته الخلاص منه وتراه يبتغي ذلك ولا يناله لان خصمه
يكون حينيذٍ طبعهُ المايل الي حب ذاك الشخص رغماً عنه وهذا
مما لاجدال فيه لكوننا نرى اناساً من العظماء المتنعمين الذين
تؤذيهم شوكة خفيفة بارجلهم وينفرون من ادنى ضرر او الم
كفرار النعجة من الذئب الخاطف يرمون ذواتهم احيانًا في
اشد المشقات تحت مخاطر الموت فقط يكون ذلك لاجل رضي
المحبوب او بالحرى لاجل التوصل للنظر اليه في بعض الاوقات
فقلت له هذا بلاشك ياعزيزى لكن لايجب ان ننكر
ما للعشق من الفوايد فانه يكسب صاحبه رقة فايقة وتهذيب
اخلاق وحلم وزيادة في الاعمال ولطافة في كافة الامور والحركات
على ان صاحب الهوى العذري يكون غالباً ذا سكينة بشوش

الوجه رقيق الطبع سليم الذوق وكل هذا من مستلزمات الحب الصحيح الخالي من شوايب الدنس والفظاظه ثم قلت له اخبرني ماذا فعلت بعد ذلك هل ذهبت اليها ام لا فاجابني

ـ بلى ذهبت لكن حصل لي في مبدى الامر ارتباك ووقعت في حيرة عظيمة لانني لم اكن ادرى ماذا اعمل والى اين اذهب فافتكرت بعد ذلك ان اقصد بيت اقاربي حيثما كنت رايتها في المرة الاولى ضمن الجنينة وهناك استخدم الحيلة للاستعلام عن محلها واذهب اليه واختبر كيفية امكان التوصل الى مقصدي وبعد ذلك اباشر بتدبير طريقة لاجل خلاصها فذهبت من الغد الى بيت اقاربي المذكور فوجدت فيه امراته وحدها وحالما راتني قامت وبادرتني بالسلام مندهشة من حضوري بغتةً في ذلك الوقت لانه كان لى مدة لم اتردد عليهم ولم يكن حينئذٍ وقت مناسبة الزيارات ثم قالت لي اظن ان مجيئك الان هو بلا شك لاجل حاجة مهمة فعساها تكون خيرًا فقلت لها ليس فى الامر شي مهم انما اردت مواجهة زوجك لاستشيره بمصلحة عزمت على عملها اليسه هنا فقالت لا لان جارنا الخواجا لطف الله مسعود ارسل يطلبه من الصباح

ليذهب معه الي بيت احد الخوارنة و يتكلما معه بخصوص زيجة ابنته جميلة المزمعة ان تتم بعد خمسة ايام

فعندما سمعت منها اسم جميلة اخذني العجب من هذه الصدفة الغريبة وقلت في بالي هذه هي بلا شك فابشر ها قد وصلت الى ما تطلبه فقد قيل

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تسايله

فساجعل هذا المحل الذى لايكون عليّ شبهة فيه واسطة لقضاء غرضي لكنني لم ابين لها شيا مما عندي بل سالتها قايلا

ـ وهل تظنين انه يرجع قريبا ام لا فقالت

ـ على ظنى لا لانه سيذهب ايضاً من هناك مع الخورى الى بيت الشاب خطيب الابنة لكى يطمناهم ويا كدا لهم تتميم العرس لانه كان حصل قلقلة فيما بينهم بسبب ان الابنة اظهرت نفورا في بداية الامر فقلت لها بعد ان بينت لها انني تعجبت من كلامها

ـ ولماذا اظهرت نفورا ان كنتِ تعلمى فقالت

ـ لا اعلم شيا من هذا القبيل غير انني كنت ارى الابنة مغمومة دايما

ـ وهل ان هذه الابنة ذات محاسن . ولا يخفاك ان هكذا سولات قد درجت الان بين الشبان والنساء فاجابتني

ـ كيف لا وهي بديعة الجمال ذات محاسن لاتوصف لها عيون سود يفضحون الناظر ووجه ابيض مكلل بالاحمرار الذكي كانه ورد قام على الخدود وفم كالخاتم وعنق كانه مسكوب من الفضة الخالصة وقامة هيفاء بخصر رفيع يسلب العقول وهي مع ذلك ممتلية الجسم ذات عقل ثاقب وفطنة باهرة وعندها خلاعة ظريفة وحركات غنجية اذا حادثتها تشتهي ان لاتنتهي لما تري من اللذة في كلامها ولها تفنن في ملابسها واكسامها لا يوجد عند امثالها وعندها معرفة في فن الموسيقة والرقص وقد اتقنت جيداً القراة والكتابة اللتين هما زينة للبنات فوق كافة المحاسن وبالجملة انها اسم على مسمى بكامل اوصافها لكن بها طبع اظنه مكروه وهو انها متقلبة الراى فاذا عزمت على فعل شي تراها بعد برهة وجيزة غيرت فكرها عنه ولست اعيبها بهذا لانه يصدر على الغالب من النساء المتغننين بطريقة ممتلية من الظرف والحلاوة فانك اذا احكيت الي احداهن شياً او قدمت لها راياً تراها انشرحت من

اول وهلة مظهرة سرورها من كلامك بنظرها اياك بطرف
اعينها وثغرها يتبسم قليلاً لكنها بعد برهة من هذا تتغير عن
حالتها وترفض ما قدمته لها برجفة لطيفة من جسمها تسلب بها
عقل جليسها على ان الابنة المذكورة كاملة الاوصاف واذا لم
تكن حايزة غير حسن الصوت لكفاها واين هذا من حفظها
للاشعار الغزلية البديعة والحكايات الظريفة والنوادر المستحسنة
فان اباها اجتهد كثيرًا بتربيتها وتعليمها لانها وحيدة له وهي
ذات ذكا مفرط وبالاختصار اخذت تعدد لي اوصافاً ثانية
بها تعجز عن احصائها فحول الشعرا ارباب الغزل والنسيب لان
عادة النساء اللواتي لم يسمح لهن النصيب بالحسن الزايد اذا
اجتمعن بشاب فلكي لا يتكره من عشرتهن يبتدرنه بهكذا
احاديث تكون موضوعاتها اما عن حال زيجته ومناسبة وقتها
واما وصف ابنة جميلة او محاورة بسيرة امراة واحوالها وما
يستحسن بها وما تعاب به لعلمهن ان هذا احسن ما يرغبه الشباب
ويميل اليه فكرهم . ثم قلت لها

ـ اشتهي ان ارى هذه الابنة الجميلة التي اطنبت بمدحها
فقالت

ـ هذا لا سبيل له الان انما ساريك اياها في وقت اخر فقلت لها

ـ قلتِ لي انها ستتزوج قريباً فكيف بعد يمكني ان اراها فقالت

ـ وهل هو امر ضروري وضحكت فقلت

ـ وما المانع اذا كان يمكن ذلك

ـ لا مانع انما ما هي الطريقة لهذا الامر

ـ الطريقة هي ان تستدعيها الي هنا اذا حسن لديكِ

ـ لكن يجب ان ادعوها لداعي واني لا ارى من داعي الان يستوجب هذه الدعوة

فاظهرت لها ضجرًا خفيفاً محركًا براسي فقالت

ـ تأنَّي ثم تفكرت قليلاً وقالت قد وجدت لذلك حيلة اظنها بغاية المناسبة وهي انني اطلب حضورها الي هنا لاستشيرها بتفصيل ثوب لي على هيئة مخترعة جديداً ولاسيما لانها بالامس كانت لابسة من ذلك وهو تفصيل يدها ثم نادت بابنة صغيرة وقالت لها اذهبي الى بيت الخواجا لطف الله وقولي الى ابنته جميلة ان تكلف خاطرها وتشرفنا وافهميها انني بانتظارها وحدي فذهبت الابنة ثم عادت حالا تقول لها انها رأتها عازمة

على الحضور الى هنا

فصرت انا منتظرا بلا صبر قدوم حبيبتي ثم افتكرت بعد ذلك انها بلا شك ستندهش عند رويتها لى فتلاحظ صاحبة المنزل عليها وانا لا اريد ذلك

وبينما انا مفتكر بهذا قالت لي صاحبة المنزل ان شئت ادخل الي الاوضة الثانية لكي متى حضرت لا تعلم المقصد الذي دعوناها اليه فدخلت حينئذٍ الي الاوضة واخذت اغنى لحناً بصوتٍ منخفض مريداً بذلك ان تسمع صوتي وهي داخلة فتتنبه وبينما انا كذلك سمعت صوتها ضمن الاوضة التي كنت بها قبلا وهي تقول الى صاحبة المنزل من هو هذا الذي عندكم فاجابتها

ـ هو من اقربائنا قد اتي لينظر زوجى

ـ وماذا يسمي

ـ حبيب

ـ ولماذا تتركينه وحده اذهبي الى امامه

ـ لا باس لانه ليس بغريبٍ عنا فلا يعتب عليّ لكونك عندى

ـ لا يصح هكذا في باب اللياقة فلنذهب سوية الى الاوضة

التي هو بها ونجلس هناك اذا استحسنت ذلك

وكانها هي حينما سمعت صوتي قد انسرت جدا في نفسها فارادت أن تجعل سبيلا للمحادثة معي وتاكد عندها ان حضوري كان لهذه الغاية ولخبرتها الجيدة في امور السياسة الغرامية كمت صاحبة المنزل بما تقدم واما هذه فكان سرورها عظيما جدا لانها رات منها طبق ما كانت ترغبه ومتحيرة كثيراً في اتمامه لاجل رضاي

ثم دخلتا الاثنتان عليَّ فنهضت واستقبلتهما بكل احتشام غير مظهر عليَّ شي من الفرح الذي لا يخفى وقداره في هكذا وقت عند متيم نظيرى وجلسنا جميعنا فاردت ان افتتح الحديث فقلت الى صاحبة المنزل

ــ قد مللت من الانتظار لان زوجك قد ابطاء كثيرا فاعلى الشغل الذي ذهب لاجله يستوجب كل هذه العاقة

فادارت بنظرها الي جميلة وتبسمت ثم قالت لي

ــ لا اعلم ربما جد له امر جديد اشغله كل هذا الوقت

فقالت جميلة

ــ بما انه تعوّق الى هذا الوقت فصار يحضر قريبا على ظني

ثم التفتت الى جهة الحايط فرات صورة معلقة به فنهضت وتقدمت اليها وصارت تحدق بها نظرها معجبة وقالت

ـ بالحقيقة ان هذه الصورة بديعة الصنعة

فنهضت انا ايضا وتقدمت الى قربها ونظرت الى الصورة وقلت لها

ـ اي نعم ياسيدة فقالت

ـ لكن انظر الى هذا الخط الشنيع المكتوب تحتها فكم يستقبح بالنسبة الى جمال الصورة

وذلك انه كان مكتوب تحت الصورة اسمها وتاريخ تصويرها بخط شنيع للغاية

فضحكت انا وقلت لها وبضدها تتميز الاشياء فقالت لي بلهفة كانه خطر علي بالها امر يهمها السوال عنه

ـ كم اشتهي ان اري رجلا يكتب جيدا لاخذ منه قاعدة لاجل تحسين خطي

ـ وهل لم تتقني الكتابة هذا مستغرب

ـ لا انما اريد ان اتعلم على خط جيد لانني لا اكتب كما يجب . وتقدمت الى طاولة هناك واخذت قلما وورقة وقالت

لى ساريك كتابتى

ثم كتبت قليلا وناولتني الورقة

فاخذتها منها واذا بها قد كتبت

« انتبه اذ ان صاحبة المنزل لا تقرا ولا تكتتب ونحن ما لنا ولكل هذا فاخبرني ماذا افتكرت ان تصنع عما عرفتك عنه قبلا

وللحال لحظت على ما ارادت فقلت انه يوجد بعض حروف لا تحسني رسمها فانظرى كيف تجب كتابتها وكتبت لها على الورقة ذاتها

« اننى الي الان لم اصنع شياً انما اتيت الى هنا لكي استعلم بالحيلة عن محلكم وبحسن حظى قد سمحت لى التدابير ان اراك فاخبريني ماذا يجب ان افعل لاباشر حالاً »

ثم اعطيتها الورقة وقلت لها اكتبي لارى هل يمكنك الكتابة هكذا ولاحظى تجويد الحروف فاخذت الورقة ونظرت بها قليلاً وكتبت

« هل انت معتمداً ان تختطفني من كل خاطرك لكى اكون لك امراة واعطني الورقة

فاخذتها منها وقلت لها بعد ان فهمت ما كتبت انه يوجد

ايضاً بعض حروف لم تحسني كتابتها فانظري كيف يجب ان تكون وكتبت

« ولماذا اختطفك فهل لا يسمح لي بك ابوك اذا طلبتك منه

وناولتها الورقة فاخذتها واظهرت انها تريد ان تجرب انتنظر هل يمكنها ان تكتب كما قلت لها وكتبت

« على ما اظن انه لا يسمح لك لانه اعطى قوله الى الذى خطبني فلم يعد يمكنه ان يرجع بكلامه وينقض العهد الذى اجراه امام جمهور كبير من الناس

واعطتني الورقة فقلت لها ان رسم حرف الحاء لم تحسنيه فانظرى كيف يكون وكتبت لها

« اذن ما هى الطريقة لاجل اختطافك فانني مستعد لذلك

فاخذت الورقة مني وكتبت

« يجب اولاً ياصاحبي ان نتعاهد على حفظ الوداد مع بعضنا الى الابد وانا اقسم لك يميناً وانت تفعل نظيرى وهذا فوق ما هو متأكد لدينا من صدق المحبة التي لكل منا نحو صاحبه

ثم اعطتني الورقة وبعد ان فرغتُ من قراتها اخذتها مني وخرقتها وناولتني خلافها قايلة

ـ اذا كنت تحسن كتابة الخط الفارسي فاكتب لي قليلاً على هذه الورقة متفضلاً على بذلك

فقلت لها ربما انه لا يعجبك لكن ساكتب لك واخذت الورقة وكتبت

« انا لا اريد منكِ يميناً واما من جهتي فانني اقسم لك بجمالك الذي هو عندي فوق كل شي واشهد الرب الاله عليَّ بانني ساكون معك الى اخر نسمة من حياتي حافظاً حبك واعاهدكِ على انني اضحي ذاتي لاجلك واستشهد على ذلك كافة اجناد السما والارض فهل بقي عندك ريب بعد هذا ايتها الجميلة مليكة مهجتي

ثم اعطيتها الورقة فاخذتها مني وقالت متبسمة

ـ كيف لا يعجبني وهو نفيس للغاية ثم قالت ساجرب لاري هل يمكنني ان اكتب نظيره لكن من اين لي ذلك وكتبت

« قسماً بلطفك ياحبيبي ليس عندي شك بحبك البتة وحيث الحالة هذه فاحضر في الليلة القادمة عند نصف الليل الى قرب باب بيتنا بحيث لا يراك احد وانا اوافيك في الوقت ذاته الى هناك واذهب معك اينما شئت

ثم ناولتني الورقة وجلست بجانب صاحبة المنزل وقالت لها انني انسر كثيراً بحسن الخط وجودته فقالت لها صاحبة المنزل

- الحق بيدك ياست جميلة فاذن يجب ان تتشكري افضال الخواجا حبيب لانه افادك الان شيًا فقالت لها

- انني بغاية الممنونية لالطاف جنابه والتفتت نحوى فرأتني انتهيت من قراءة الورقة فاخذتها مني وقالت بعد ان طوتها ووضعتها بجيبها

- كيف رايت ياخواجا تعني بذلك عن الراى الذي كتبته فاجبتها انا اعنى عنه ايضاً

- بغاية الحسن ياسيدة

فاخذت صاحبة المنزل تثني عليَّ قايلة قد سببنا لك ثقلة فاجبتها

- ليس من ثقلة باشغال الست جميلة فانسرت كثيراً لكن لم يكن سرورها باعظم من سرورى عندما تاكدت انها لم تلاحظ علينا بشي من كل ما جرى

ثم طلبت الانصراف بدعواى ان زوجها قد تعوق عن

الحضور وان اشغالى لاتسمح لى بوقت اكثر مما ضيعته عندهم وانني اراه في غير وقت فودعتها وحييت جميلتى محنياً براسي لها وذهبت الى محلي

ولما كان اليوم الثاني ذهبت الى السوق ودبرت كافة اموري واقمت وكيلاً علي اشغالى واخبرت اقاربي ان مرادى التوجه الى الجبل لاجل مسواق جانب من الحرير وربما تطول غيبتى قليلاً فلا يكن لهم فكرة من قبلي وصممت النية على الذهاب الى طرابلس واذا لزم الامر اذهب من هناك الى غير جهةٍ واستاجرت دابتين وعينت للمكاري محلاً ينتظرني به عند نصف الليل بدعواى انني ارغب المسير بضو القمر وتممت كامل لوازمي ورجعت الي محلى وجلست انتظر الوقت المعين وانا متجهز للسفر

ولما صار الوقت قريبا من نصف الليل سرت قاصداً محلها حتى وصلت اليه فتقدمت الي جهة الباب لاري ان كانت حضرت حسب القول ام لا فرايت جمهوراً من رجال ونساء خارجين من البيت ولما رايتهم جعلت ذاتي كعابر سبيل من هناك وسرت في الطريق بغير الجهة التي ساروا عليها حتى

غابوا عن نظري فرجعت الي امام الباب ووقفت انتظر قدومها
حتى مضى مقدار ساعة من الوقت وبعد ذلك سمعت مشياً
خفيفاً على درج البيت فخفت ان يكون ذلك من احد خلافها
وتحيرت في امري فاخذت اسير رويداً رويداً حتي بعدت
قليلاً عن الباب ثم التفت فرايت رجلاً فاتحا الباب وواقفا
ينظر الى جهتي فازدادت حينئذٍ حيرتي وخفت ان يكون
احدا من البيت لحظ علي مقصدها بالهروبة واراد ان يتحقق
ذلك فنزل ليراني فمشيت انا بسرعة على الطريق لكيلا يلحقني
ثم التفت الى وراي فرايته يتبعني ولما قرب الى قليلا ناداني قايلا

- مهلا ايها الحبيب مهللا فانا هي جميلة لا يكون عندك فكرة

فعندما سمعت كلامها ارتديت اليها عاجلا وقلت لها

- كيف هذا هل انت جميلة وما هذا الثوب الذي لبستيه

- انني رايت ثوب الرجال انسب لى في هكذا وقت فلذلك اتخذته فهيا بنا نسرع قبل ان يدري بنا احد من البيت

فاخذتها بيدها وسرنا سوية حتي وصلنا الي المكان الذى
عينته للمكاري فوجدته واقفا بانتظارنا فركبنا حالا واخذنا
طريق طرابلس وباثناء مسيرنا جرت بيننا المحادثات الاتية

فقلت لها

ــ قد علمتِ انني بقيت منتظراً مقدار ساعة من الزمان قبل حضورك وذلك بعد نصف الليل فقالت

ــ ان السبب في ذلك هو انني اردت ان اصبر لبينما يكون نام الجميع لانهم كانوا لم يزالوا سهرانين مع جمهور كبير من النساء والرجال وربما انك نظرتهم حينما خرجوا من عندنا فاجبتها

ــ نعم فقالت

ــ وانا كنت اشرفت من الشباك فرايتك تمشى طولا وعرضا على الطريق فصرخت على احد الخدم بصوت عالى وكان قد ناداني لكي احضر اليه لغرض قايلة ،

ــ اصبر قليلا فانني ساحضر اليك عن قريب واردت بذلك ان اسمعك لكي لا تظن انني عدلت عن النزول فتذهب فاجبتها

ــ انني لم اسمع ذلك ومع هذا فاوكد لكِ انني كنت عازما على البقاء بالانتظار الي طلوع الفجر لو لم تحضري لتيقنني جيداً بحبك وصدق كلامك

ـ اذن الحمد لله على اجتماعنا فاخبرني الى اين نقصد الان بسيرنا فقلت لها

ـ الى مدينة طرابلس ومن هناك نذهب حيث شئنا

ـ لا ياحبيبي ان الاحسن لنا ان نذهب الى احدى القرى في الجبل الان وفيما بعد نذهب الى تلك المدينة وذلك لكي نكون آمنين من التفتيش علينا فقلت لها

ـ وماذا تظنين عن اهلك انهم يفعلون متى علموا في الغد بهروبك

ـ انهم بلاشك سيقلقون البلد بالبحث عليَّ واخيراً سيرسلون اشخاصاً يفتشون في كامل الجهات ولهذا قلت لك ان نذهب الى احدى القرى فقلت لها

ـ مناسب ثم التفتُ الى المكاري وقلت له

ـ اخبرني عن قرية تكون ذات هواء جيد ومياه عذبة لكي نمضي بها بعض ايام من هذا الصيف لاجل النزهة انا وشقيقتي هذه فقال لي

ـ ان احسن قرية في هذه الجهة من الجبل غزير فان شئت اخذتك اليها فقالت هي

ـ نعم سنذهب اليها

فاجبتها الى ذلك واخذنا نسير بسرعة حتى وصلنا الى نهر الكلب فنزلنا هناك لاخذ الراحة قليلاً لان النهار كان قد بزغ بانواره والشمس ارخت شعاعها على قمم الجبال فالبستها حللا من العقيق وتوجت الرياض والروابي باكاليل من لآلئ الندى واصوات المياه الجارية تهيج الطيور التي فوق الغصون على التغريد الرخيم بخريرها الشجي وبالاختصار كان كل شي هناك سبباً عظيما للانشراح وتنزه الافكار لاسيما منظر ذاك النهر الوسيع القايم على جانبه قلاع شامخة من الصخور الصماء التي تدهش العقول بكيفية تركيبها الطبيعي ويوجد ايضاً هناك بعض اشارات قديمة من الابنية العجيبة لاجل جلب المياه من مكان الي اخر ومن النقوش والرسوم التي كانها لم تزل شاهداً على مقدار عظمة تلك المحلات واعتبارها في الازمنة السالفة هذا وبعد ان جلسنا مقدار نصف ساعة من الزمان في ذلك المكان ذهبنا الى مغارة جعيتا التي منها يخرج نبع هذا النهر العظيم وهي كبيرة جداً ضمنها ظلام شديد لابد للداخل اليها من اخذ انوار معه ليمكنه ان يري ما بها وذلك لزيادة

طولها وامتدادها وبعد ان انتهينا من الفرجة عليها وعلى كل ما يجاورها من الاماكن التي تستحق الفرجة اذ كان تضييع الوقت من جملة الغايات التي نبتغيها اخذنا نسير قاصدين قرية غزير حتى وصلنا الى النهر المسمى بالمعاملتين الكاين تحت القرية المذكورة بمسافة قليلة لاننا عندما نظرناه عن بعد اردنا ان نتفرج عليه وهو نهر شتوى له جسرٌ مبنى على نوع عجيب يعدونه من مستغربات صنعة البناء وكانت جميلة قد عطشت فسالت المكارى ان كان يوجد ماء في ذلك المكان فاشار لي على نبعة صغيرة بقرب الجسر فنزلت لاخذ منها الماء وتبعتني جميلة ايضاً وبقى المكارى امام الخيل ابينما نرجع فلما وصلنا الى النبعة راينا اربعة انفار من الارناووط جالسين فوقها فحالما راتهم جميلة خافت جداً منهم حسب عادة امثالها من نساء بلادنا قبلا فانهن كن اذا نظرن الى شخصٍ غريب عن البلاد ولو مهما كان حاله يرتعبن منه كثيراً حتى انه يتصور امام اعينهم كعزائيل ملك الموت وينظرن ذواتهن انهن وقعن في داهية وتستولى عليهن الحيرة وربما يكون ذلك الانسان هو ذاته قد خاف او استحى منهن لكن نرى الان ان هذه العادة صارت من

جملة الامور الضعيفة ولم يعد يعمل بها الا قليلاً وبدلت النساء ذاك الخوف الذى كان يعتريهن من الغريب ولاسيما من صاحب الكسم الافرنجي بالاعتبار له والاعتقاد بعظم شرفه ورفعة شانه وقد اضر هذا الامر كثيرا بابناء البلاد حتى انهم لرغبتهم بهذا الاعتبار قد غيروا اكسامهم واتخذوا عوضاً عنها الملابس الافرنجيه لعلمهم ان ذلك صار علامة للاعتبار في اعين الناظرين بقطع النظر عن صاحبها ان كان مستحقا ذلك ام لا

ثم ان الارناووط عندما نظروا منها ذلك نهضوا وبعدوا عن ذلك المكان والتفت واحد منهم لنحوى وقال

- قل ياخواجا لحضرة الست ان تتقدم الى الما فاننا نحن ذاهبين فشكرت فضله وقلت له

- لا نريد ان نمنعكم من النزهة ياصاحبي فاجابني

- لا ليس من هذا القبيل انما نحن قد حان وقت انصرافنا ثم اشار لى بعلامة التحية وسار الي رفقايه ثم ركب الجميع خيولهم واخذوا طريق البحر التى هناك فتعجبت من هذا اللطف الذى ابدوه ثم تقدمت الي الماء وملات اناء كان معى وناولته الى

جميلة فشربت ثم شربت انا وبعد ذلك ركبنا قاصدين غزير
ولم نزل نسير حتى دخلناها وكان الوقت قد قارب الغروب
فاستخبرت هناك عن بيت صاحب لي كنت عرفته قبلاً فاهدونا
عليه ولما وصلنا اليه وجدت الرجل غايباً فسالت عنه امراته
فقالت لي انه ذهب الى بعض القرى التي بتلك الجوار وانه
لا يغيب اكثر من ثلاثة ايام فانسريت انا بعدم وجوده مخافة
ان يستخبر مني عن حالة حضوري الى بيته وعن وجود جميلة
معي لانه كان يعلم ان ليس لي اخت ثم بتنا تلك الليلة
هناك بكل راحة وانشراح لان امراة صاحبي هذا قدمت لنا كل
اكرام يمكن تقديمه في بيوت الجبل ولما كان الغد طلبت مني
جميلة ان نذهب الى بعض القرى والجبال العالية بقصد
النزهة فاجبتها الى ذلك وودعنا صاحبة البيت ووعدتها باننا
عند رجوعنا نجعل طريقنا من عندهم ووضعت سلاماً الى
زوجها وسرنا في تلك الجبال والوديان وكنا نمر على دروب
عسرة المسالك جداً كما هي حالة الجبال ولاسيما تلك الجهات
فان الطرقات بها صعبة للغاية وكنا كلما وصلنا الى احدى
القرى نجلس قليلاً لاخذ الراحة والفرجة على احوال الاهالي

وعوايدهم وهيئاتهم الاجتماعية وكانت جميلة مسرورة جدا بهذه النزاهة التي هي نوع من السياحة ولا يخفى ان الاطلاع على العوايد المستغربة والاصطلاحات المختلفة فيه تسلية عظيمة للافكار وهناك تقسم السكان الى قسمين قسم يقال له المشايخ وهم اصحاب الاعتبار والرفعة لانهم كانوا اصحاب المقاطعات وتلك الارزاق والقسم الثاني هو الفلاحون وهم ارباب الحراثة والاشغال وللمشايخ اصطلاحات ليست للفلاحين منها انهم لا يزوجون ولا يتزوجون من غير بنات عايلاتهم رغبة بقصر شرفهم عليهم لانهم يعتقدون انهم اذا تزوجوا من الفلاحين او زوجوهم يصير لهم حق الاعتبار نظيرهم وهذا ليس من قوانينهم ومنها انهم يعطون للبنت حين زواجها صداقا وافرا وهذا يشترطه الشاب الطالب غالباً وذلك حسب عوايد بلاد اوربا وقد نتج من هذا اضرار لبعض بنات هذه العايلات التي ساء بها الدهر كما جرى عند بعض شعوب الافرنج ومن عوايدهم ايضاً ان صغيرهم يتناول القهوة اذا كان في مجلس قبل اختيار الفلاحين وكل من كان خارجاً عن عايلاتهم يسمونه فلاحاً كذلك لهم اصطلاحات كثيرة في كتاباتهم وعندهم اكرام

زايد لتزيلهم وللفلاحين ايضاً عوايد غير التي للمشايخ لا حاجة ان اذكرها لك الا انهم عندهم حمية زايدة ويوصفون بالمروة فقلت له

— اي نعم ان هولاء القوم كان يومل تقدمهم قريباً لولا بعض عيوب بهم نظير الانشقاقات التى تحدث فيما بينهم وعدم الاتحاد بالراى الذي يضر بهم كثيراً انما هذا كله ناتج من قلة العلوم لانهم لو تعلموا وتهذبت عقولهم كانوا يدركون الاضرار التى تحدث لهم فقال لي

— لكن قد رايت باثناء مسيرنا هناك جملةً من الاديرة المقام بها مدارس عظيمة بهذا الشان

— نعم أنه يوجد في لبنان مدارس شهيرة مقامة من قديم الزمان من بعض عايلات معتبرة من اهاليه ولكل منها ارزاق وافرة تكفي لادارتها جيداً انما هذه المدارس مقصورة على بعض علوم أكليريكية ولغات اجنبية ليس بها افادة كلية لتنوير العقول فيما يختص بالنجاح وتقدم الوطن انما قد يوجد فيما بينهم من عنده هكذا احساسات فلا بد ان الوقت يوقظهم وسياتي زمان ينتبهون به الى التزاماتهم لكن دعني من هذه

الاحاديث واخبرني ماذا جرى لك بعد ذلك فقال لى

ـ اننا بعد ان مضينا مدة خمسة ايام فى التنقل من مكان الي اخر طلبت مني جميلة ان نذهب الى مدينة طرابلس لانها كانت تتكره كثيراً من حالة المعيشة في تلك القرى والمزارع فاجبتها الى ذلك وسرنا قاصدين طرابلس فوصلنا اليها بعد مسير يومين بكل تعب ومشقة وللحال استاجرت محلا ضمن البلد بجوار بعض عايلات معتبرين من جملتهم امراة ارملة كاملة السن والتهذيب كانت تزورنا دايما فاستانست بها جميلة وانا كنت ادور بعض الاوقات في الاسواق لاجل تمضية بعض ساعات وارجع الي البيت فارى جميلة مسرورة فرحانة فانسر انا ايضا

فلما كان احد الايام افتكرت ان ارجع الى بيروت لاعلم ماذا جرى بعد غيابي من قبل اهل جميلة وانظر اهلى فاعرضت هذا الفكر عليها فابت اولا بدعواها انها لايمكنها المعيشة وحدها وانها ستكون محزونة دايما ثم قالت لى

ـ وكيف تكون حالتي ياحبيب في مدة غيابك فقلت لها

ـ لكن يجب ان تعلمى ياعزيزتي بان سفري هذا سيكون لنا

به افادة كلية

ــ وما هي هذه الافادة

ــ هي اولا الاستعلام عما قر عليه راي اهلكِ بعد فقدكِ ثانيا تطمين اهلي عليَّ لكيلا تتشوش افكارهم من جهتي وبناء على هذا لايسالون عني ثم انني اكون على بصيرة من قبل زواجي بك لانني اذا وجدت خطيبكِ غير مهتم بشانكِ استعمل طريقة مناسبة لطلبك واطلعهم على امرك وحينيذ نريّح ذواتنا ونعيش على عيشة سعيدة في بلدنا بين اهلنا واصدقاينا لانه لايخفاك ان الانسان مهما كان حاصلا على الرفاهة في الغربة فلا يعد سعيدا ولو كان في اعظم مدن العالم بين اعظم جماهير اللطفا والعشرات الظريفة فانه دايما يحن الى بلاده وموطن عايلته اعني به مسقط راسه على انني لاأذم بهذا التغرب ومنافعه لاننا قد طالما راينا اناسا حصلوا على درجة عالية بواسطة الغربة هذا فضلا عما نحن فيه من العنا والاتمال فقالت لي

ــ وهل تطول مدة غيبتك هذه

ــ على الاكثر خمسة ايام

ــ مناسب اذن اذهب ولكن لاتنسى وحيدة تدعوها اختك

ستكون ساعات بعدك عند ها كالسنين فخفق قلبي حينيذ بحركة الغرام وقلت لها

ـ الا تعلمين انني اود مفارقة الحياة قبل فرقتك انما هذه ضرورة تحوجني الى ذلك وانتِ فاجعلى هذه الامراه الارملة هيلانه عندك لاجل تسليتك وانا اجتهد كل الجهد بالرجوع حالا على قدر الممكن

ـ مناسب واي متى انت معتمد على السفر

ـ في صباح الغد ان شئتِ

فظهرت على وجهها علايم الغم فاخذت الاطفها واسليها وابرهن لها عن لزوم غيبتي هذه القصيرة واورد لها بعض اخبار مفرحة وبينما انا كذلك اذ دخلت علينا هيلانه فرات جميله على هذه الحالة فسالتها عن سبب غمها فاخبرتها عن قصدي بالسفر فاخذت تلومني على هذا الامر فقلت لها ان اشغالاً ضرورية تضطرنى لذلك وانني سارجع حالاً واشرت الى جميلة بان تكتم ما عندنا عنها ثم رجوتها ان تكون دايمًا معها لاجل تسليتها في مدة غيابي فاجابتني الى ذلك والتفتت الى جميلة وقالت لها لايلزم ياحبيبتى ان تمنعى اخاك عن اشغاله ولا

تغتمي على ذلك لان غمك ربما يكون منه قال ردي عليه
واخذت توصف لها اضرار التفاول وما ينتج عنه من المصايب
والدواهي وتفسر لها تفاسير معجبة في هذا الخصوص كما يعتقدون
النساء المتقدمات في السن وصارت تعدد لها شيا فشيا لاسيما
عن الاحلام الجيدة والعاطلة وتخبرها اخبارًا كثيرة علي هذا
الموضوع بعضها جرت معها وبعضها مع خلافها فتسلت بذلك
نوعاً جميلة وصارت توضح لها عن عدم تاثير هذه الامور وانها
كلها خرافات لاطايل تحتها وضعها الاقدمون بقصد الهزل
وهي لاتقبل هذا القول لانها تسلمت هذه الاعتقادات من امها
وجدتها ولا يخفاك ان التسليم امر صعب ازالته من عقول
البسطاء لانك تراهم يقولون مثلاً هكذا اخبرنا ابونا او هكذا
علمتنا امنا فكيف يصح لنا ان لا نصدقهم العلهم كانوا مغفلين
حاشا لانهم عاشوا عمرا طويلا لتوهمهم بان المعارف تكتسب
بمجرد طول الحيوة فقط ولم تزالا اثنتاهما في هكذا احاديث حتى
مضي النهار فنهضت هيلانه وذهبت الى بيتها بعد ان وعدتني
بانها تكون دايما ملازمة جميلة في مدة غيابي لانها انشرحت من
محادثتها كثيرا فشكرت فضلها وهنيت جميلة بهذه الجارة

الانيسة ومضينا غالب تلك الليلة في مكالمات لذيذة مع بعضنا وهي كل برهة توصيني بعدم تطويل مدة غيابي

ولما كان الصباح نهضت باكرًا فودعتها وركبت واخذت اسرع بالمسير حتي بلغت بلدة جبيل الكاينة على شاطي البحر في طريق طرابلس فبت تلك الليلة ومن الصباح داومت مسيري حتي وصلت الى بيروت فدخلت حالاً الى منزلي فانسرت جدا عايلتي بحضوري لاسيما والدتي التى كانت قد اشتاقت كثيرًا اليّ كما هو طبع الوالدات لانه لا يخفى مقدار حبهن لاولادهن

فقلت له

ـ هذا موكد ياصاحبي لانه كم وكم يوجد من الاولاد الاشقيا الذين يكونون غارقين في ابحر جهالتهم تاركين الواجبات الوالدية بمعزل عنهم غير ملتفتين الا لشهواتهم تراهم اذا قدموا لهم والديهم نصيحة ما ياولون لها حسب افكارهم غايات مضرة لهم مع انهم لو تصوروا مقدار الالم المر الذي يحصل للوالدين عند نظرهم اولادهم في ادني متعبة لكفاهم هذا دليل على حبهم الطبيعي فقال لي متمما حديثه

ـ ثم اني بت تلك الليلة وفي الصباح خرجت لاستكشف الخبر فذهبت اولا الى بيت اقاربي الذى كنت رايت به جميلة المرة الاولى وحالما دخلت اليه لاقتنى الامراة مندهشة وقالت

ـ اين كنت كل هذه المدة الم تعلم بما جرى فقلت لها

ـ لا فماذا جري فقالت

ـ ان تلك الابنة جميلة التى كنا تكلمنا عنها يوماً ما من مدة ليست بطويلة قد فقدت من بيتها والي الان لم يعلم لها خبر فاظهرت لها تعجبا وقلت

ـ هذا امر مستغرب وكيف فقدت هذه الابنة اللطيفة

ـ انه بعد يومين على ظنى من اجتماعنا نحن واياها هنا سوية طلبوها عند الصباح في البيت فلم يجدوها

ـ وماذا فعل اهلها عند ذلك

ـ انهم اخذوا يسالون عنها في كافة بيوت اقرباهم ومعارفهم فلم يقفوا لها علي اثر اخيرا ارسلوا بعض انفار من طرف الحكومة الى جهات صيدا وصور وذهب خطيبها نفسه ومعه بعض انفار من الضبطية ايضا الى جهة طرابلس لانهم تاكدوا

انها لم تنزل في البحر بل ترجحت ظنونهم ان احد اولاد الحرام خطفها وسار بها براً لكن الى الان لم يرجع احد من الذين ذهبوا للتفتيش والان ترى والديها في حيرة عظيمة من جرى هذا الامر المحزن

فاظهرت لها تاسفاً عظيماً على هذه المصيبة المغمة التى حاقت بهذه العايلة ثم دخلت الى احد الاوض فرايت زوجها هناك فسلمت عليه وجلست معه برهة ثم خرجت منصرفـــا وافكاري مشغولة من قبل جميلة حيث ان الامراة اخبرتني ان خطيبها سار الى جهة طرابلس فخفت ان يعثر عليها وحينيذ تكون مصيبتي اعظم

فذهبت حالاً الي السوق وسالت عن مركب مسافر في طريق طرابلس فوجدت فابورا مسافرا في ذلك المساء وللحال شتريت ورقة سفر ورجعت الى البيت فوجدت والدتي وحدها فقلت لها انه حضر لي تحرير من المكان الذى كنت به في الجبل يعرفني به انه يوجد جانب عظيم من الحرير باسعار فرطة للغاية وانني اذا ما اسرعت بالحضور ياخذه خلافي فودعتها ونزلت في الفابور وفي صباح اليوم الثاني كنت في مدينة

طرابلس ثم تاوه وقال

ـ فاسمع ماذا رايت حين رجوعي ياصاحبي لتعلم ماذا نتج من سفرتي هذه التي كنت بنيت عليها افادات كلية فقلت له

ـ اخبرني ماذا فقال

ـ انني حينما وصلت الي البيت وجدته مقفولا واذا بهيلانه حضرت الي وقالت

ـ كيف كنت تقول لي ان جميلة اختك وهي ابنة قد خطفتها من بيت اهلها فقلت لها

ـ واين هي الان فقالت

ـ انه في اليوم الثاني من ذهابك حضر الى هنا شاب يقال له اندراوس ومعه احد تجار هذه البلدة لا اعرف اسمه واظنه هو ذاك الذي كنت احضرته يوما ما معك الى هنا وبرفقته ايضا بعض رجال من الحكومة فدخلوا على جميلة وكانت اذ ذاك نايمة فايقظها الشاب واخذ يوبخها بكلام قاسي ثم الزمها للذهاب معه غصبا وبالحال ارسلت فدعتني فلما حضرت اليها اخذتني على جانب وعيونها غرقى بالدموع وقالت لي سرا ان اخبرك متى رجعت بانها ستبقى دايما على معاهدتها معك وحفظ ودادك

لكن قالت لى ان لا اعلمهم بامرك ابدا ثم قالت لى امامهم ان اقفل البيت واخذ مفتاحه فقلت لها انه بيتي ولا لزوم لهذه التوصية فانسرت مني جدا وودعتني. وسارت معهم ولكن بقلب ذايب واظن انها ستمرض على الطريق معهم نظرًا لما عاينت من غمها وكانت عندما يسالونها مع من اتت تقول للشاب اندراوس انها هربت وحدها لانها لاتريد ان تتزوج به وكان مع ذلك يلاطفها ويتذلل بين يديها ويطلب منها السماح عما صدر منه من توبيخها وهى لاتعى على شي ابدًا فقلت لها

- واين المفتاح قالت

- هو عندي

وذهبت فاحضرته لي فاخذته منها وفتحت الباب وصرت ادور داخل البيت وانا كالحيران فلاحت مني التفاتة فرايت فى احدى الزوايا ورقة صغيرة مطوية فاخذتها وفتحتها واذا بها قد كتب بقلم رصاص

« حبيب لاتحزن ولا تتالم فاما ان اموت واما ان اكون لك »

فلما قرات هذه العبارة طفحت عيناى بالدموع وبكيت بكاء شديدًا على ضياع هذه الدرة الثمينة لكنني بعد ذالك رددت

بافكاري عبارتها هذه فرايت ان الامل لم ينقطع منها فهدي روعي نوعا لانه على مثل هكذا ابنة يجب ان يتعب الانسان جهده لا على غنية او ذات حسن تميل مع كل كوكب بل على ذات نظير هذه صاحبة وداد صادق وتعقل زايد لان الحب الخالص الخالي من الدنس ينتج عن العقل الذكي ولست اريد بقولي هذا ترك الغنية او الجميلة لكن ما اردته هو ان يبحث الانسان اولا عن صاحبة العقل وبعد هذا يلتفت الى حالة الغنى او الحسن لكيلا يوقعه غروره او هواه في افة التغفل الذي يسلب راحته ربما طول حياته او الطياشه التي تكون له عذابا مرًّا وتورثه القلق الدايم فقلت له

— ولهذا ايها العزيز تراني امدح العشق الطاهر اذ من فوايده ان الانسان بواسطته يمكنه ان يطلع على اطوار محبوبته فيعرف سليمها من فاسدها وحينيذ اما ان يبعد عنها واما ان يصلح ما فسد فيها ويرتب على خاطره عيشته المستقبلة وقد قيل في هذا الموضوع

شعر

ليس السعادة في المال الكثير ولا

في الحسن لكنها في راحة البال

فصادقني على ذلك ورجع الى حديثه فقال

ـ وبت تلك الليلة في مدينة طرابلس وافكاري مشتغله كثيرا فلما كان الصباح نهضت وقصدت بيروت برا وكنت اود ان يكون لى اجنحة كالطير لاصل في اقرب وقت ولم ازل اسير مسرعاً حتى بلغتها في اليوم الثاني قبل الظهر قليلاً ولم ارتاح على الطريق الا برهات وجيزة وحال وصولي ذهبت الي بيت قرابتي المعهود فوجدت الامراة وحدها ولما راتني قالت لي بديهاً

ـ من اين انت حاضر الان

فقلت لها مريداً اخفاء امري ايضا

ـ من الجبل ولماذا هذا السوال فقالت

ـ هل لم تتصادف مع الابنة جميلة ووالدتها وخطيبها على الطريق

فقلت لها بتحير مظهراً عدم اكتراثي بكلامها

ـ ومن هي هذه جميلة ووالدتها وخطيبها ياست

ـ تلك الابنة التي كانت موضوع احاديث طويلة لنا وقتاً ما ابنة الخواجا لطف الله مسعود

ـ نعم نعم عرفتها ولماذا ذاهبين بها الى الجبل والدتها وخطيبها

ـ على ظني انني كنت اخبرتك انهم فقدوها من البيت وارسلوا يفتشون عليها وان خطيبها ذهب ايضاً ليفتش في جهة طرابلس فمنذ بعض ايام حضر واحضرها معه لانه وجدها هناك في بيت امراة ارملة من اهل البلدة لكنه لم يعلم من الذي اخذها ولم يقف على ادني افادة بهذا الخصوص اما الابنة فقد اغتمت كثيرا وحصل لها غشيان دايم ولم تصل معه الى هنا الا وهي علي اخر رمق فلما راها ابوها وامها على هذه الحالة ازداد حزنهما وللحال احضروا لها جملة اطباء فعالجوها حتي راق حالها قليلا ثم امروا جميعهم ان يذهب بها الى جهة مناسبة في الجبل لاجل تغيير الهوا والتنزه من مكان الي اخر وعمل كامل الوسايط المفرحة لها وذلك لاجل حفظ صحتها ففي هذا الصباح اخذتها والدتها وبرفقتهما خطيبها وساروا جميعهم يفتشون على محل جيد ليقيموا به

حينيذ قلت لها

ـ ما هذا الخبر العجيب الذي اسمعتينية الان فقد انغميت

جداً على هذه الابنة المسكينة

واخذت اتاوه تاوهاً شديداً واهز براسى اسفاً وامشى طولا وعرضاً امامها فقالت لى

ـ انا لم يبقَ عندى شك ياخواجا بان هذه الابنة ذهبت مع محبوب لها من بيت ابيها فقلت لها

ـ ولماذا تفعل هكذا فاذا كانت تحب احداً وكان من اقرانها كان الاحرى بها ان تجعله يطلبها عروسة له من والديها فقالت

ـ انا اعرف السبب الذى منعها عن هذا العمل

ـ وما هو هذا السبب ان اردت تبيينه لى

ـ هو رداوة أطباع ابيها فقط فكان الابنة لا ترغب الزواج مع خطيبها هذا ونظراً لخبرتها الجيدة في مزايا ابيها وانه لا يمكن ان يرجع في قول اعطاه لم ترى احسن من الهروبة ولا بد ان تكون تميل الى شخص فهربت معه وانا اعلم جيداً تصلّب ابيها في ارايه لانني لحظت عليها بعد ما خطبت بانها كانت دايماً غير منشرحة ولخوفها من ابيها لم تكن تجسر على افشاء امرها لاحد حتى لوالدتها ليلا يتصل ذلك اليه

فاظهرت لها تاسفا كثيرا واردت ان استخبر بطريق الحيلة
عن الجهة التى ذهبوا اليها في الجبل فقلت لها

ـ لو ذهبوا بها الي جهة كسروان لكانوا يجدون هنالك
اماكن مناسبة جدا للانشراح فقالت

ـ لا اعلم الى اين ذهبوا ولكنهم سيطوفون محلاتاً كثيرة
وحيثما يطيب لهم المناخ ويصادفون انشراحاً يقيمون ونحن ما لنا
ولهم اينما ذهبوا يذهبون

حينئذ رايت ان لافايدة بمعرفة ذلك فودعتها وانصرفت
بعد ان قلت لها انني ساحضر فيما بعد لمواجهة زوجها وسرت
من هناك آخذا طريق الجبل ولم ارض ان اذهب الي بيتي
لخوفي من العاقة اذ انني تاكدت انه لم يدري بي احد غيرها
فقصدت اولا جهة المتن وذهبت الي قرية يقال لها بيت مري
لانني أعلم انها مرغوبة السكن من الذين يقصدون الانشراح
في اوقات الصيف فلم ارهم بها فسرت من هناك الى قرية بكفيا
فلم ارهم ايضا اخيرا صرت اطوف من مكان الي اخر لعلي
اقف لهم على خبر فكان ذلك بدون فايدة حينيذ استولى عليَّ
غم شديد وافكار محزنة وقلق زايد فقصدت التنزه لاجل

التسلية خوفاً من الوقوع في مرض فاخذت انتقل من جهة الى غيرها ومن قرية الى خلافها ولم ازل على مثل ذلك مقدار خمسة ايام حتى انتهي بي الامر الى مكان يقال له برج النمرود في مقاطعة جرد بلاد جبيل فوجدت هناك اثار قلعة قديمة العهد لم يبقَ منها الا ما لم تقدر عليه كرور الايام فجلست هناك تحت ظل شجرات من السنديان لارتاح قليلاً وكان اذ ذاك في منتصف النهار وكان ذلك المكان خالياً من السكان لكن يوجد بعض قرى مجاورة له وهو على قمة جبل عالٍ جداً فاشغلني حينئذ التذكار في عالم الطبيعة واحوال هذا الكون العجيب ثم اتصلت من ذلك الى التفكر في امر الفناء المهول الذي ينتهي معه كل شي في هذا العالم فطاشت افكاري وتضعضعت حواسي ولم اعد اعي على شي ابدا وبينما انا كذلك اذ استيقظت على صوت غراب ينعق بالقرب مني وللحال تذكرت ابياتاً قيلت بلسان حاله وهي

الا انا كالخطيب وليس بدعا	على الخطباء اثواب السوادِ
انوح على الطلول فلم يجبني	بساحتها سوى خرس الجمادِ
واكثر في نواحيها صراخي	من البين المفتت للفؤادِ
فما من شاهد في الكون الا	عليه من فناء الدهر بادِ

ثم التفت يمينا وشمالاً لانظره فرايت خيالاً مقبلاً لجهتي
عن بعد حينيذ خفق قلبي واشعرت برجفان في كافة اعضاي
ولم ازل ارتعش حتى وصل الى فلما عاينته وجدته من اهل
المدن تلوح عليه هيئة مرعبة نوعا لانه كان لابسا ملابس القوم
الذين يسمونهم اشابهة فاستبشرت حينئذ بالتسلية به على ما بي
من التاثرات المغمة لانه لا يخفاك ما لسكان المدن من الالفة في
الغربة لاسيما لابناء بيروت لان الواحد منهم اذا وجد اخر في
غير بلده فكانه وجد اخا له وان يكون لم يعرفه قط فيما مضى
وهذه مزية حميدة تذكر لهم عند البحث على العوايد الحسنة
وقد جري ذالك معي عمليا اذ انني لم اكن عرفته غير معرفة روية
فقط وهو فحالما وقع نظره عليَّ كانه انسر جدا بوجودي فحياني
بتحية رجل وجد صديقا لـه وحول حالا وتقدم اليَّ مسلما
فتوسمت به نوع حزن وانكسار قلب ثم اجلسته بجانبي وسالته
مستخبرا عن حاله قايلا

- من اين حاضر جنابك الان ايها الاخ

فتنهد تنهدا عميقا واجابني

- قد الم بي ايها العزيز مصيبة مغمة والذلك لم ارَ من واسطة

للتخلص من الاحزان غير المروبة فقصدت الدوران في هذه الجبال لعلى انسلى على ما بي ولحسن حظى قد وجدتك الان لى اليفاً وصار عندى امل بزوال تكديري

فعجبت من امره وقلت له

ـ وما عساها تكون هذه المصيبة التى المت بك فقال

ـ غريبة جداً وسماعها يحير الافكار فقلت له

ـ وهل لك ان تخبرني بها اذ في الحديث مع الاخوان تسلية لارى غرابيها وارثي لحالك

فجمد برهة وهو مطرق بنظره الى الارض ثم احدق بي متفكراً وقال اسمع

ـ انني بينما كنت مرتاحاً في حالة عيشتي ادور من مكان الى اخر مع زمرة اصحابي ومعارفي لااترك ليلة طرب الا واذهب اليها ولا جمعية بسط وانشراح الا واكون بها ولا محل ملهى وكيفية الا واقصده متمتعاً بحرية زمن الصبا على كامل ما ينبغي لافعل الا ارادتي ولا اسلك الا على مشربي ولا افتكر الا فيما يلذ لى ولا اقيد ذاتي بالاشغال الا في وقت الضرورة لانني كنت اخذ من ابي كل ما يلزمني لمصارفي على الاحباب والاصحاب في

اوقات تنزهاتي فاذ كنت في احد الايام البطالة جالسا مع ابي
نتحدث في امور هزلية قال لى انني اريد ان ازوجك لكى تبطل
هذا الجنون الذى انت به وتلتفت الى مصلحة تشتغل بها لانه
لايعود لك عذر بالسيران لاجل كيفك وانشراحك فقلت
له انا مريداً الهزل مناسب اني ارغب ذلك فقال وانا صرت
افتكر بهذا الامر واضعه في العمل فتركته انا حينيذ وخرجت
من البيت بقصد التنزه حسب عادتي ولما كان بعد ايام قليلة
من ذلك كنت جالساً معه ايضاً فقال لى قد وجدت لك
ابنة بغاية المناسبة كاملة الاوصاف في محاسنها وعقلها فقلت له
اذن اخطبها لى قال لااظن ان اباها يسمح بها لك فاغتظت
حينيذ من كلامه هذا وقلت له لماذا لا يسمح لى بها ابوها وانا
اذا طلبت ابنة أكبر الناس لي امل ان لايمنعها عني قال اذن
اذهب انت واخطبها لنفسك قلت له اخبرنى عنها فاخبرنى
عن ابنة اعرفها وبالحق اعجبتني كثيرا فقلت له مناسب انا لها
وقطعت الحديث بهذا الخصوص واضمرت في نفسى ان لابد
ان اطلبها انا ذاتى واخذها عروسة لي لاري والدي شطارتي
وشهرتي وفي ثاني يوم كلفت بعض ذوات من معارفي في ذلك

وذهبنا سوية الى بيت ابيها فاستقبلنا بكل اكرام وحينيذ صرحت له بطلبي فاجابني الى ذلك بكل رضى وقبول فقدمنا له جميعنا تشكرًا على الطافه وعينا مدة ثمانية ايام للاكليل ورجعنا في الحال بعدان اخذ نا منه عهداً اوثيقاً وذهبت حالا الي والديّ واخبرتهما بذلك فانسرا كثيرا واخذا بالمباشرة في تدبير لوازم العرس وانا كنت مسرورا جدا بذلك فصرت ازور خطيبتي مرة بعد مرة فيقولون لى انها مريضة فاتركها وارجع الي انني ذهبت يوما ما فرايتها وحالما وقع نظرها عليّ عبست وغابت من امامى فلم اكترث بهذا الامر مطلقا ولم افتكر بشى حتى اتي ميعاد العرس فذهبنا في تلك الليلة مع جمهور من اقاربنا واصدقاينا الي بيتها لنعلمهم اننا سناخذها فى اليوم القابل او الذى بعده فرايتها على كل ما ارغب من التقرب فاستانست حينيذ واخذت اكلمها بحديث ملاطفة فجارتنى هى ايضا علي ذلك لكنني كنت الحظ عليها اشاير التصنع والحيرة معا من تفكرات مستطيلة كانت تاخذها اخيرا مضينا كل تلك السهرة بسرور وانبساط لاسيما والدىّ فانهما كانا فرحين جدا لفرحي وانشراحى ثم رجعنا الي محلنا

ولما وصل في حديثه الي هنا اخذ يهز براسه وقال اسمع ما كان بعد ذلك اما انا فاخذتني الحيرة من هذه القصة لانه لايخفاك ظنون نظيري عند سماعه هذا الحديث لكنني بقيت ملازماً للصمت لارى ما تكون النهاية فداوم حديثه قايلاً

ـ ولما كان اليوم الثاني نهضوا صباحا فلم يجدوا البنت في البيت فاعلمونا بذلك فدهشنا من هذا الامر وصار كل منا يفتش عليها من بيت الى اخر فلم نحظى بها ابدا اخيرا ارسلنا اناسا يفتشون في الخارج فذهب البعض الي نواحي صيدا وصور وذهبت انا الى جهة طرابلس مع بعض رجال وكان لي هناك صديق يقال له ن... فنزلت في بيته ولما قربي الحال سالني عن مقصدي في الحضور الى بلده فاخبرته بكلما جرى وعند ما سمع مني ذلك قال لي انني منذ بضع ايام رايت رجلا من بلدكم اعرفه فقال لي انه سكن عندنا ومعه اخته لانه كان زايرا احد الاديرة في هذه النواحي واذ حضر الى طرابلس انبسطت اخته في المناخ ولذلك مراده تمضية بعض ايام في هذه البلدة ثم عزمني لزيارة الى بيته فسرت معه فوجدت عنده ابنة لطيفة لكنني اشتبهت بان تكون اخته من بعض ملحوظات لحظتها والان

عندما اخبرتني بقصتك هذه خطرت بفكرى هذه الابنة فحالما سمعت منه هذا رجوته ان يسير معي الى محل وجود هذه الابنة فاجابني الى ذلك وسرنا جميعاً حتى وصلنا الي البيت فدخلنا واذا بها هي ذاتها نايمة وللحال ايقظتها وصرت اسالها عمن اتت معه فلم تفدني بشي فوبختها على عملها هذا واحضرتها الى بيروت غصباً عنها

فانا عندما سمعت هذا الخبر لم يعد عندى شك بانها هي بعينها لانني عرفت الرجل الذى اهداه عليها وحينيذ صرت مترقباً بدون صبر تكميل القصة لاعرف مكانها فصغيت له اصغاء كاملاً ورجوته اتمام حديثه فقال

- ولما وصلت بها الى بيروت استولى عليها غشيان شديد كان ابتدى معها على الطريق فاحضرنا لها اطباء وبعد معالجتها قليلاً قالوا ان ناخذها الى الجبل لاجل تغيير الهوا فاحضرتها مع والدتها الى قرية يقال لها ج . . . . ذات هواء جيد وهناك صرنا نعطيها بعض ادوية كنا استحضرناها لها معنا من بيروت وكانت جميعها بدون فايدة لان صحتها كانت تتاخر يوماً فيوماً حتى انحلت كافة قواها وصارت في

حالة يرثي لها من الضعف والاصفرار وصار ياخذها ثبات نوم مستطيل ولم تزل على مثل هذا الحال مقدار يومين وفي اليوم الثالث بينما نحن جالسين امامها واذا بها قد تضعضعت احوالها وغرقت عيناها في وجهها واصفر لونها اصفرار الموت وبطلت حركتها فتقدمنا اليها واخذنا نناديها باصوات عالية فلم تجبنا كليا لكنها بعد برهة من هذا تحركت وتمطت على فراشها فناديناها ايضا وحينيذ سمعناها تقول حبيبي ثم انقطع نفسها وصقع جسمها كله فتاكدنا حينيذ انها فارقت روحها

ولما وصل الى هذه العبارة صرخت انا من صميم فواد محروق قايلاً

ــ اه واسفاه عليها ماتت جميلة ودمعت عيوني

فلما راى مني هذا اخذته الحيرة وقال لي

ــ ما بالك ايها الصاحب تبكي وتتاسف هكذا فقلت له

ــ ساخبرك بكل شي الان لكن أرجوك ان تتمم لى ماذا فعلتم بها بعد ذلك

فتعجب حينيذ من كلامى وقال

ــ ماذا فعلنا اننا باشرنا حالا بوضعها في احدي الخشاخيش

هناك لان والدتها لم يعد لها صبر ان تنظر اليها وانا كذلك تفتتت احشاءي عليها فارسلت والدتها الى بيروت صحبة احد الرجال وانا ركبت وسرت في هذه الجبال طايفا من محل الى اخر مومّلا التسلية حتى انتهى بي الامر الى هنا فوجدتك وقد اخبرتك بكلما جرى لي من الامور المغمة التي رايت علاءيها على لكنني صرت في حيرة عظيمة من امرك فارجوك ان تكشف لي ذلك لتريح فكري فقلت له

- نعم نعم ياعزيزى ساكشف لك عن كل شي لانها ماتت لكن بعد ان تعدني انك لا تظهر ذلك لاحد حتى ولا لوالديها ما دمنا اثناننا في قيد الحيوة

فاجابني الى ذلك واقسم لي يميناً رهيباً على هذا الامر بعد ان ارهن شرفه ايضاً حينيذ قلت له متنهداً

- انا هو ذاك الحبيب الذي نادته عند مفارقة روحها والذي كنت السبب في عذابها هذا جميعه وانا الذي سببت لكم كل هذه الاحزان والمصايب انما لم يصدر ذلك بقصد مني البتة بل كان وقوعه في سبيل الحب الاعمى واخبرته بكامل قصتي معها بالتفصيل وكيف كانت معرفتي بها وكيف انها هي ذاتها

لم ترضى ان اطلبها من ابيها بعد ان خطبتها انت بدعواها ان اباها لا يمكن ان يغير قوله معك وانها هي طلبت الهروبة معي لتتخلص منك وكيف ابقيتها في مدينة طرابلس وحدها وكيف كنت استعمل الوسايط للاستعلام عنها في بيت قرابتي واخبرته بزيادة محبتها لي الشديدة ثم اخذت ابري ذاتي من الخطا ضده اذ لم يكن ما فعلته الا بارادتها

فقلت له حينيذ

ـ اراك ياصاحبي سلكت معه حسب عادة البعض من اهالي البلاد الذين يلقون الذنب على الغايب ليتخلصوا ذواتهم وهذا ما يشين بشرف الذات كثيراً ويجعل الانسان ان يستسهل الكذب عاملين بالمثل القايل ان رمت تصديق كذبك ابعد شهودك وقد يوجد من لا يكتفون بغياب الاموات بل يلقون المسئله على الاحياء فقط لا يكونون حاضرين معهم حين تقديم دعواهم فانظر كم هو مضر بمبادي الانسانية هذا الامر فقال لي

ـ نعم انما انا لم اخبره الا ما توقع كما لا يخفاك فقلت له

ـ هذا اكيد فاخبرني ماذا فعلتم بعد ذلك قال

ـ فعندما سمع مني هذه القصة تعجب جدا ولكمد اونه

واخذ يتفكر طويلاً ثم قال

ـ ما هذا التصادف الغريب ياخواجا فكيف يمكن لي ان اصفح عن هذه الاذية التي سببتها لي وعن هذا العذاب الذي تكبدته بسببك فقلت له

ـ مهما شئت افعل بي لانك لاتعلم مقدار الحب الذى كان بقلبى لهذه الملكة الحبيبة ولذلك صرت اكره العيشة بعدها وها انا مزمع ان اترك هذه البلاد واقصد بلاد اوربا وربما اقيم بها للممات لانه لم يعد يحلو بعيني روية خلافها البتة فان شئت ان تكون راوفاً وصاحب شيمة كما يبان ذلك في هيئتك فاترك ما مضى يموت مع موتها ولا تطلب اثراً بعد عين فقال لي

ـ بما انني قد اعطيتك قولي على كتم هذا السر فساقوم بكلامي هذا وتاكد بانني لو علمت بمحبتك هذه الشديدة لجميلة قبل موتها لكنت تنازلت لك عن حقوق خطبتي ولكن جرى الذي جرى ولم يعد باليد حيلة لاريك صدق كلامى غير انني اعاهدك على المخاواة الي الابد

ثم نهض ومسك يدي وتصافحنا فشكرت فضله على علو همته وملاطفته هذه وقلت له

ـ انني ارغب الذهاب الى القرية التى كنتم بها لازور مدفنها ولولا خوفي من كشف امري لكنت اجعل لها قبراً خصوصياً فاستودعك الله وطلبت الانصراف فقال لى

ـ كنت اود الرجوع معك لكننى مرادي الذهاب الى بعلبك ومنها الى دمشق الشام وبما انك عرفت القرية فارجوك ان تسمح لى بذلك وان شا الله سنلتقي في بيروت

فاجبته الى ذلك وودع كل منا صاحبه وهو اخذ طريق بعلبك وانا سرت اخذاً طريق القرية التي اخبرني عنها حتى بلغتها في اليوم الثاني فقصدت هناك بيتاً منفردا عن البيوت لاستخبر عن مكان المدفن فرايت امراة عجوزا امام الباب فطلبت منها شربة ماء فاجابت طلبتى وعزمتنى ان ادخل البيت وبما انني كنت في غاية التعب حولت . ودخلت لارتاح قليلا ثم احضرت لي العجوز ماء فشربت وبعد ذلك سالتها عن المدفن الذي وضعوا به من برهة وجيزة ابنة من بيروت كانت حضرت مريضة مع والدتها وشاب اخر فعندما سمعت مني هذا السوال جمدت وبقيت صامتة وكان في البيت فرشة ممدودة ونايم بها شخص فرأيته تحرك ثم جلس قاعدا عند سماع

كلامي هذا فنظرت به واذا هو صبية مريضة في حالة ضعف شديد فاكدت بها نظري فرايتها تشبه كثيرا لجميلتي واما هي فاخذت تحدق بي نظرها ثم قالت

ـ هل لم تعرفني ياحبيب ونهضت قايمة على اقدامها ثم وقعت مغشيا عليها

فاندهشت انا من ذلك وتقدمت اليها لاري من هي هذه التي عرفتني ثم تقدمت العجوز وقالت يلزم ان نرش على وجهها قليلا من الماء حسب عادتها حينما يحصل لها هذا الغشيان وذهبت فاحضرت ماء وصارت تضع على وجهها الى ان فاقت فقلت لها من اين عرفتي اسمي ياسيدة فتبسمت وقالت انت لايحق لك ان تنساني لانك لم تعلم بالذي جرى لي فقلت لها ومن تكوني انتِ فقالت اما انا مايتة حبك جميلة فصرخت حينيذ قايلاً هذا مستغرب انت هي حبيبتي وملكة فوادي كيف قمتِ من بين الاموات وانطرحت على اقدامها فقالت ومن اين علمت بموتي فاخبرتها بمصادفتي مع اندراوس وانه هو الذي اخبرني عن كل شي جرى لها واخبرتها عما ابداه لي من الملاطفة عند معرفته بقصتي وكم اظهر من الغم على حالتنا فقالت اذن

الحمد لله على اجتماعنا يا عزيزي فقلت لها اذن اخبريني ما هذه العجيبة التي حصلت لكِ وهل هو صحيح امر موتك فقالت اسمع واخذت تحكي لي قايلة

- انني بعد ما وضعوني في الخشخاشة كما اخبرك اندراوس بقيت لحد ساعتين من الليل وانا غير منتبهة كليا اخيرا استيقظت من غشياني الذي كان اوهم والدي وخلا فهما انه موت فرايت ذاتي في ظلمة شديدة وشممت روايح كريهة للغاية فاستولى عليَّ خوف شديد واخذت بالصراخ والعويل وكان بطريق الصدفة ابن هذه الامراة مارا بالقرب من هناك فكانه سمع صراخي فاتى حالا وفتح الباب واخرجني وهو مرتاب جدا من امري ثم احضرني الى هنا وحينيذ اخبروني بقصتي فتعجبت كثيرا وشكرت الباري تعالى على الخلاص ورجوتهم ان لا يطلعون احدا على امري لكي متى تعافيت قليلا اذهب انا بذاتي لبيت ابي واريهم هذه المعجزة الغريبة فقلت لها حينيذ

- هذا بلا شك لاجل اتمام سعادتي فقومي بنا اذن نذهب الى بيروت وهناك تاخذين ادوية كافية لاجل نوال صحتك وحينيذ اطلبك من ابيك عروسة لي اذ لم يعد له عذر على عدم القبول

ولاسيما لان اندراوس بدون شك سيتنازل عن دعونه لنا
فاجابتني الى ذالك وللحال اخذت لها دابة فركبت اذ انها رات
ذاتها في ذاك الوقت متعافية ومنشرحة جداً وسرنا بكل سرور
وابتهاج لا يمكن تحديد وصفه حتى بلغنا المدينة وانا كل برهة
التفت اليها وانظر بها كانني لست مصدق انها هى ذاتها حتى
وصلنا الى بيتهم وللحال سبقت انا واخبرت اهلها بان ابنتهم
جميلة واصلة اليهم فتعجبوا جميعهم من كلامى وقالوا اي ابنة
ياخواجا لانهم لم يعرفوني فقلت لهم ابنتكم جميلة التى ماتت
فى الجبل ودفنتموها قد قامت من القبر وهى واصلة اليكم الان
حينيذ تقدمت الي والدتها باندهاش وقالت ما هذا الخبر
ياخواجا فهل انت تمزح معنا ام ما هو مرادك فاكدت لهم
ذلك فبهتوا جميعهم ولم يصدقوا كلامى وبينما نحن كذلك اذ
وصلت جميلة فقلت لهم ها هي وللحال ركضت والدتها وتبعها
كل من في البيت فلما راتها والدتها القت نفسها عليها
واحتضنتها وصارت كل منهما تبكي من زيادة الفرح ووقعت
الدهشة على الموجودين واجتمعت عليهم الجيران عند سماعهم
بمجى جميلة وحضرت ايضاً امراة قرابتي المعهودة ثم دخلنا جميعنا

الى البيت والسرور طافح على جبين الجميع واخذ الكل يهنون
والدتها على هذه البهجة العظيمة التى حصلت لهم وكان قد
اتصل الخبر بوالدها فحضر وحضر معه ابو اندراوس خطيبها
وجمهور من الاصحاب والمعارف وكذلك اقاربي ايضاً قصدوا
تاكيد خبر وجود جميلة وحالما راوني تعجبوا ايضا من امري ثم
جلسنا واخذنا نحكى لهم قصتنا وكلما جري لنا من البداية الي
النهاية فاندهش الجميع من هذا الامر واخذوا يهنوننا بالسلامة
ثم نهض ابو جميلة وقبلنى شاكرًا معروفي حينيذ طلبت انا منه
جميلة امراة لى فاجابنى الي ذالك بعد ان اظهر قبوله ابو اندراوس
ايضًا ومن ذاك الوقت صار كل شغلي وعملى في معالجة صحة
جميلة حتى شفيت فتزوجتها وسررت جدا بحصولى على هذه
الجوهرة الثمينة وطاب عيشى معها كثيرا وخدمتنا اوقات الصفا
وبعد مدة حضر اندراوس من غيبته واذ علم بنا تعجب غاية
العجب من غرابة هذا الامر الذى لايكاد يمكن تصديقه ياصاحي
لكن كان سروره بز بجتنا يفوق تعجبه وصرنا اثناننا كروحين
بجسد واحد وكان يتردد علينا دايما ويولينا محبة وصداقه ولم
نزل في طيب عيش وهنا حتي ولدت لي جميلة ابنة فماتت

بالنفاس بها وحينيذ تكدر عيشى واستولت على قلبي الهموم والاحزان فقصدت السفر وكانت لى ابنة عم متزوجة في مدينة الاسكندرية لم يكن لها اولاداً فاذ علمت بموتها ارسلت تطلب مني الابنة لتربيها عندها فاخذتها وسافرت بها الى الاسكندرية فسلمتها لها هناك واوصيتها بتربيتها جيدا وسافرت قاصدا البلاد الافرنجيه فطفت في ممالكها مدة ثلاثة اشهر ثم رجعت الى هنا من برهة قريبة وانا الان كما تراني لاازال اتذكر حبيبتى واري شخصها دايما منتصبا امامي يذكرني ما لاقته في ميدان حبها لي وحفظ ودادها معى وها قد انهيت الك قصتي هذه المستغربة وبينت لك اسباب تكديري الظاهر على رويتى ياعزيزي

فانذهلت انا حينيذ من غرابة ما توقع له راثيا لحاله ومعجبا من هذا الحفظ الوداد النادر الوقوع ثم سليته نوعا على احزانه انصرف كل منا راجعا الى مكانه تمت